۳۶ . حقایق اسرار الدین (عربی)

موضوع: حکمت و کلام

مؤلف علامه مولی محسن محمد بن شاه مرتضی ملقب به فیض کاشانی

آغاز: بعد از بسمله الحمد لله الذی نور قلوبنا بنور الایمان و عرفنا من اسرار الحدیث والقران

انجام: ولنختم الکلام حامدین لله مصلین علی نبیه واهل بیته علیه وعلیهم السلام

اندازه (۲۵) ۱۳×۲۰ برگ (۱۰۶)

خط نسخ صحیح کاغذ نخودی جلد تیماج مشکی

کاتب: مولی ابوالفضل ساروی

تاریخ: عدد و دفا تممت الحقایق (۱۱۶۴) هجری

بسم الله

وفق بوقف هذا الكتاب الموفق المستطاب المؤيد السالك

درويش محمد علي وجعل التولية لنفسي وقد جرت الصيغة وقبض [لزم]

الوقف ... عباس ...

١١٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي نور قلوبنا بنور الايمان وعرفنا من اسرار الحديث والقرآن و
الصلوة على محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين اما بعد
فيقول الفقير الى الله محمد بن مرتضى المدعو بمحسن ايده الله تعالى اني اذكر بعون الله تعالى
في هذا الكتاب من اسرار الدين ما يرتقي به من كان له قلب او القى السمع وهو شهيد
الى معارج اليقين وانما اخذته من كتاب الله تعالى وسنة سيد المرسلين واحاديث الائمة
المعصومين واضفت اليه ما وجدت في كتب علماء الدين ولا سيما كتاب احياء علوم الدين
لابي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي مما يصلح لان يكون بيانا لمبانيه وتفسيرا لمعانيه
بتقرير اتقن ومزيد متقن ونثر للفرائد مخليا سبيل الزوائد وسميته الحقائق
ورتبته على ست مقالات في كل مقالة ابواب وفي كل باب فصول ومن الله التائيد
الباب الاول فيما هو بمنزلة الاصول وفيها ثلاثة ابواب الباب الاول في العلم اعلم ان
السبب الكلي لخلق العالم العلوي والسفلي وافضل ما يتقرب به الى الله العلي هو العلم
قال الله سبحانه وهو الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا
ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما وقال شهد الله انه لا اله الا هو
والملائكة واولوا العلم وقال انما يخشى الله من عباده العلماء وقال هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون وقال وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون
وفي الحديث النبوي العلماء ورثة الانبياء وفيه اللهم ارحم خلفائي قيل يا رسول الله
ومن خلفاؤك قال الذين يأتون بعدي ويروون حديثي وسنتي وفي الحديث العلوي
ان كمال الدين طلب العلم والعمل به وان طلب العلم اوجب عليكم من طلب المال وان المال مقسوم
مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وقد ضمنه وسيفي لكم والعلم مخزون عند اهله فاطلبوه
وعن السجاد ع لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج وعن
الباقر ع عالم ينتفع بعلمه افضل من سبعين الف عابد وعن الصادق ع من علم
خيرا فله مثل اجر من عمل به وعن الرضا عن آبائه عن النبي ص انه قال طلب العلم
فريضة على كل مسلم فاطلبوا العلم في مظانه واقتبسوه من اهله فان تعلمه لله

حسنة وطلبه عبادة والمذاكرة به تسبيح والعمل به جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة
وبذله لاهله قربة الى الله تعالى لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة و
والمونس في الوحشة والصاحب في الغربة والوحدة والمحدث في الخلوة والدليل
على السراء والضراء والسلاح على الاعداء والزين عند الاخلاء يرفع الله تعالى
بها اقواما فيجعلهم في الخير قادة تقتبس اثارهم وتقتدى بفعالهم وتنتهي الى
ارائهم ترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم وفي صلواتها تبارك عليهم
ويستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه
ان العلم حيوة القلوب من الجهل وضياء الابصار من الظلمة وقوة الابدان
من الضعف يبلغ بالعبد منازل الاخيار ومجالس الابرار والدرجات العلى في
الاخرة والاولى الذكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الرب
ويعبد وبه يوصل الارحام ويعرف الحلال والحرام العلم امام والعمل تابعه يلهمه
السعداء ويحرمه الاشقياء فطوبى لمن لا يحرمه الله تعالى من حظه والاخبار في
فضيلة العلم وشرفه اكثر من ان تحصى فصل اعلم ان الشئ النفيس المرغوب فيه
ينقسم الى ما يطلب لذاته والى ما يطلب لغيره والى ما يطلب لذاته ولغيره وما يطلب
لذاته اشرف وافضل مما يطلب لغيره وما يطلب لذاته ولغيره اشرف مما يطلب لذاته
فحسب والمطلوب لغيره كالدنانير والدراهم فانهما حجران لا منفعة فيهما ولولا ان
الله عز وجل يسر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصى بمنزلة واحدة والذي يطلب
لذاته كاللذات والذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن فان سلامة الرجل
مطلوبة من حيث انه سلامة عن الالم ومطلوبة للمشي بها والتوصل الى المآرب و
الحاجات وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رايته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا
لذاته ووجدته وسيلة الى سعادة الدنيا والاخرة وذريعة الى القرب من الله
فانه لا يتوصل اليها الا به واعظم الاشياء رتبة في حق الادمي السعادة الابدية
والقرب من الله وافضل الاشياء ما هو وسيلة اليهما ولا يتوصل اليهما الا بالعلم
والعمل ولا يتوصل الى العمل ايضا الا بالعلم بكيفية العمل فاصل السعادة في
الدنيا والاخرة هو العلم فهو اذن افضل الاشياء وكيف لا وقد يعرف فضيلة الشئ

بشرف ثمرته وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بافق
الملائكة ومقاربة الملأ الاعلى هذا في الآخرة واما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ
الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى ان اغبياء الترك واجلاف
العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد
من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتميز الانسان بكمال مجاوز
لدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم باختلاف مراتبها فتتفاوت
لا محالة فضائلها بتفاوتها الى ان ينتهي الى معرفة الله تعالى بحقيقة اليقين التي
هي اصل كل معرفة راسخة قال الصادق ع لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله تعالى
ما مدوا اعينهم الى ما متع به الاعداء من زهرة الحيوة الدنيا ونعيمها وكانت
دنياهم اقل عندهم مما يطئونه بارجلهم ولنعموا بمعرفة الله تعالى وتلذذوا بها تلذذ
من لم يزل في روضات الجنان مع اولياء الله ان معرفة الله تعالى انس من كل
وحشة وصاحب من كل وحدة ونور من كل ظلمة وقوة من كل ضعف وشفاء
من كل سقم ثم قال قد كان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشر و
تضيق عليهم الارض برحبها فما يردهم عما هم عليه شئ مما هم فيه من غير ترة وتروا
من فعل ذلك بهم ولا اذى بما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد فاسئلوا
ربكم درجاتهم واصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم فصل العلم علمان
علم الدنيا وعلم الآخرة وعلم الدنيا ما يرتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب و
علم الاخرة علمان علم يقصد لذاته وعلم يقصد للعمل ليتوسل به الى العلم المقصود
لذاته فان اريد به الدنيا التحق بعلم الدنيا وعلم الآخرة محمود كله واما علم الدنيا
فمنه محمود ومنه مذموم اما العلم المقصود لذاته فهو نور يظهر للقلب عند تطهيره
وتزكيته من صفاته المذمومة فينكشف من ذلك النور امور كان يسمع من قبل
اسمائها ويتوهم لها معان مجملة غير متضحة فيتضح له ذلك حتى تحصل المعرفة
الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته التامات بقدر الامكان وبافعاله وحكمته
في خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه الاخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة
والنبي وبمعنى الامامة والامام ومعرفة معنى الوحي والالهام ومعنى الملائكة

والشياطين

والشياطين وكيفية معادات الشيطان للانسان وكيفية ظهور الملك للانبياء
وكيفية وصول الوحي الى النبي وحديث الملك مع الامام والمعرفة بملكوت
السموات والارض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة و
الشيطان فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة
الاخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والشفاعة والحساب
ومعنى قوله عز وجل وكفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى قوله تعالى
وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى لقاء الله عز وجل
والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والمقام في جواره ومعنى
حصول السعادة بمرافقة الملأ الاعلى ومقاربة الملائكة والنبيين
ومعنى تفاوت درجات اهل الجنة حتى يرى بعضهم بعضا كما يرى الكوكب
الدري في جو السماء الى غير ذلك مما يطول تفصيله فان للناس في
معاني هذه الامور بعد التصديق باصولها مقدمات فبعضهم يرى ان جميع مقامات
ذلك امثلة وان الذي اعد لعباد الله الصالحين ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر وانه ليس مع الخلق من الجنة الا الصفات والاسماء
وبعضهم يرى ان بعضها امثلة وبعضها يوافق حقايقها المفهومة من
الفاظها وكذا يرى بعضهم ان منتهى معرفة الله سبحانه الاعتراف
بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعي امورا عظيمة في المعرفة بالله عز وجل و
بعضهم يقول حد معرفة الله تعالى ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام وهو
انه سبحانه عالم قادر سميع بصير متكلم مريد فنعني بالعلم المقصود لذاته
ان يرتفع الغطاء حتى يتضح جلية الحق في هذه الامور اتضاحا يجري
مجرى العيان الذي لا شك فيه وهذا ممكن في جوهر الانسان الا ان
مرآة القلب قد تراكم صداها وخبثها بقاذورات الدنيا فلا بد من
تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله سبحانه
وعن معرفة صفاته وافعاله وانما تصفيتها وتطهيرها بالكف
عن الشهوات والاقتداء بالانبياء والائمة عليهم السلم في جميع احوالهم

فبقدر ما يتجلى من القلب ويحاذى به شطر الحق يتلألأ فيه حقايقه ولا سبيل
الى ذلك الا بالتعلم والهدى والخشية والتقوى والفطنة والذكاء وهذه
هي العلوم التى لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من انعم الله عليه منها بشئ الا
مع اهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار وهذا العلم
الخفى هو الذى اراده النبى بقوله صلى الله عليه وآله ان من العلم كهيئة
المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله فاذا نطقوا به لم يمهله الا اهل الاغترار يجهله
بالله عز وجل ولم يتحمله الا اهل الاعتراف بالله عز وجل فلا تحقروا عالما آتاه
الله علما فان الله عز وجل لم يحقره اذ آتاه اياه وعن امير المؤمنين عليه السلم
انه قال ان من احب الله اليه عبدا اعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب عباد
الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه الى ان قال قد خلع سرابيل الشهوة و
تخلى من الهموم الا هما واحدا انفرد به فخرج من صفة العمى ومشاركة اهل
الهوى وصار من مفاتيح ابواب الهدى ومغاليق ابواب الردى قد ابصر
طريقه وسلك سبيله وعرف مناره وقطع غماره واستمسك من العرى
باوثقها ومن الحبال بامتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس وفي كلام
اخر له عليه السلم قد احيى قلبه وامات نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه
وبرق له لامع كثير البرق فابان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته
الابواب الى باب السلامة ودار الاقامه وتثبتت رجلاه لطمانينة
بدنه في قرار الامن والراحة بما استعمل قلبه وارضى ربه وقال عليه السلم
اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوى
البعيدة وقال عليه السلم تعلمت من رسول الله صلى الله عليه وآله الف باب
من العلم ففتح لى كل باب الف باب وسئله كميل بن زياد النخعي عن الحقيقة
فقال عليه السلم ما لك والحقيقة قال اولست صاحب سرك قال بلى ولكن
يرشح عليك ما يطفح منى ثم اجاب عما ساله وروى كميل انه عليه السلم اخذ
بيدى فاخرجنى الى الجبان فلما اصحر تنفس الصعداء ثم قال لى يا كميل بن
زياد ان هذه القلوب اوعية فخيرها اوعاها فاحفظ عنى ما اقول لك

الجبان والجبانة الصحراء

الناس

الرعاع بالمهملات ونحو الاول العوام والسفلة

الناس ثلثة فعالم ربّانيّ ومتعلّم على سبيل النجاة وهمج رعاع اتباع كلّ ناعق يميلون مع كلّ ريح لم يستطيئوا بنور العلم ولم يلجاوا الى ركن وثيق الى ان قال هاه انّ ههنا لعلما جمّا واشار الى صدره لو اصبت له حملة بلى اصيب لقنا غير معمول عليه مستعملا آلة الدّين للدّنيا ومستظهرا بنعم الله على عباده و بحجه على اوليائه او منقادا لجملة الحقّ لا بصيرة له فى اخفاءه ينقدح الشكّ فى قلبه لاول عارض من شبهة الامه لا ذا ولا ذاك او منهومًا باللذة سلس القياد للشّهوة او مغرى بالجمع والادّخار ليسا من رعاة الدّين فى شئ اقرب شبها بهما الانعام السّائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه اللهمّ بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجة امّا ظاهرًا مشهورًا او خائفًا مغمورًا لئلا تبطل حجج الله و بيّناته وكم ذا واين اولئك اولئك والله الاقلّون عددا الاعظمون قدرًا بهم يحفظ الله حججه وبيّناته حتّى يودّعوها نظرائهم ويزرعوها فى قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدّنيا بابدان ارواحها معلّقة بالمحلّ الاعلى اولئك خلفاء الله فى ارضه والدعاة الى دينه آه آه شوقا الى رؤيتهم وعن السّجاد عليه السّلم انه قال والله لو علم ابو ذرّ ما فى قلب سلمان لقتله ولقد اخا رسول الله صلّى الله عليه وآله بينهما فما ظنّكم بسائر الخلق انّ علم العلماء صعبٌ مستصعبٌ لا يحتمله الّا ملك مقرّب او نبيّ مرسل او عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان قال وانما صار سلمان من العلماء لانه امرؤ منّا اهل البيت فلذلك نسبته الى العلماء اراد عليه السّلم اهل بيت التوحيد والعلم والمعرفة والحكمة لا اهل بيت النّسوان والصّبيان والاهل والاولاد وفى الحديث النبوى صلّى الله عليه وآله ايضا سلمان منّا اهل البيت وفيه ايضا لو علم ابو ذرّ ما فى بطن سلمان من الحكمة لكفّره وفى رواية لقتله وعن السجّاد عليه السّلم فى ابيات منسوبة اليه شعر انّى لاكتم من علمى جواهره ** كيلا يرى الحقّ ذو جهل فيفتتنا ** وقد تقدّم فى هذا ابو حسن ** الى الحسين ووصّى قبله الحسنا ** يا ربّ جوهر علم لو ابوح به ** لقيل لى انت ممّن يعبد الوثنا ** ولاستحلّ رجال

مسلمون دمی یرون اقبح ما یاتونه حسنا وعن الباقر علیه السلم الناس کلهم
بهائم الا قلیل من المؤمنین اقول وتصدیق ذلک قول الله سبحانه ام تحسب ان
اکثرهم یسمعون او یعقلون ان هم الا کالانعام بل اضل سبیلا وعن الصادق علیه السلم
ان امرنا سر مستور فی سر مقنع بالمیثاق من هتکه اذله الله وقال علیه السلم ان
امرنا سر مستور فی سر وسر مستتر وسر لا یفیده الا سر وسر علی سر مقنع بسر
وقال ع هو الحق وحق الحق وهو الظاهر وباطن الظاهر وباطن الباطن وهو السر
وسر المستتر وسر مقنع بالسر وقال علیه السلام مشیرا الی وجوب کتمان هذا
السر التقیة دینی ودین ابائی فمن لا تقیة له لا دین له وقال علیه السلام خالطوا
الناس بما یعرفون ودعوهم مما ینکرون ولا تحملوا علی انفسکم وعلینا ان امرنا
صعب مستصعب لا یحمله الا ملک مقرب او نبی مرسل او مؤمن امتحن الله قلبه
للایمان **فصل** واما العلم المقصود للعمل لیتوسل به الی العلم المقصود لذاته
فقسمان احدهما علم الاخلاق والثانی علم الشرایع اما علم الاخلاق فهو علم احوال
القلب اما ما یحمد منها فکالصبر والشکر والخوف والرجاء والتسلیم والرضا و
الزهد والتقوی والقناعة والسخا والعفو والاحسان وحسن الظن وحسن
المعاشرة واداء الامانة والصدق والاخلاص ومعرفة المنة لله فی جمیع الاحوال
فمعرفة حقایق هذه الاحوال وحدودها واسبابها التی بها تکتسب وثمراتها و
علاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتی یقوی من علم الاخرة واما ما یذم فکخوف
الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد والغش وطلب العلو وحب
الثناء وحب طول البقاء فی الدنیا للتمتع والکبر والریاء والغضب والانفة و
العداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظیم
الاغنیاء والاستهانة بالفقراء والفخر والخیلاء والتنافس والمباهات و
الاستکبار عن الحق والخوض فیما لا یعنی وحب کثرة الکلام والصلف و
المداهنة والعجب والاشتغال عن عیوب النفس بعیوب الناس وزوال الحزن
من القلب وخروج الخشیة منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها الذل وضعف
الانتصار للحق واتخاذ اخوان العلانیة علی عداوة السر والامن من مکر الله

فى سلب ما اعطى والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الامل والقسوة والغظاظة والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس على المخلوقين والوحشة لفراقهم الا لاعانة منهم على الدين والجفا والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة فهذه وامثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة واضدادها وهى الاخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقائقها واسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الاخرة وهو فرض عين على من له اهلية ذلك والا فبقدر حوصلتها لا يكلف الله نفسا الا وسعها واما علم الشرايع فهو العلم بكيفية العبادات المشروعة من الطهارة والصلوة والزكوة والصيام والحج والجهاد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر واسرارها والعلم بالاحكام المحدودة من الحلال والحرام في المكاسب والمعاملات من البيع والشراء والربا والقرض والقراض والاجارة والشركة والمزارعة والمداينة والرهان والضمان والكفالة والوكالة والوديعة والاقرار والصلح والعطايا والبر والنكاح والفراق وقسمة المواريث والعلم بالحدود والتعزيرات والقصاص والديات وتجهيز الاموات والعلم باداب الاكل والشرب والمواخاة والمعاشرة والسفر والحقوق الى غير ذلك وهو ايضا فرض عين بقدر الاحتياج والذكاء وفرض كفاية للفتيا والقضاء و اما الطريق الى تحصيل هذين العلمين اعنى علم الاخلاق وعلم الشرايع فهو ما نتلو عليك فاستمع واتبع سبيل الذين هم مهتدون ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون اعلم ان كلا من العلوم الثلاثة الاخروية يسمى بعلوم الدين وعلم الفقه وتعلمه يسمى بالتفقه في الدين قال الله عز وجل فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون وقال الصادق ع لاصحابه عليكم بالتفقه في دين الله ولا تكونوا اعرابا فانه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر اليه يوم القيمة ولم يزك له عملا وقال عليه السلم ليت السياط على رؤس اصحابي حتى يتفقهوا في الحلال والحرام وقال ع ان اية الكذاب ان يخبرك بخبر السماء والارض والمشرق والمغرب فاذا سئلته

عن حرام الله وحلاله لم يكن عنده شئ الى غير ذلك ممّا فى هذا المعنى فالتّفقّه فى الدّين
عبارة عن تحصيل المعرفة فى المسائل الدّينيّة علميّة كانت او عمليّة باطنيّة او ظاهريّة
متعلّقة بالعبادات او المعاملات فرضا معرفتها او العمل بها او سنّة او ادبًا وغرضنا
الان بيان كيفيّة هذا التّحصيل فانّ النّاس اختلفوا فيه حتّى اوقعوا الجماهير فى التّيه
ونحن بتائيد الله عزّ وجلّ نكشف عن وجه الحقّ فيه النّقاب بحيث لا يبقى معه شكّ
ولا ارتياب فنقول انّ النّاس كانوا فى زمن رسول الله ص ياخذون العلم عنه بما يوحى
اليه وامّا بعده فصاروا فرقتين فرقة قالوا بالاجماع الزّور فى تعيين الامام وباتّباع
المتشابهات فى العقايد والاحكام مضافا الى المحكمات ابتغاء الفتنة وابتغاء التّاويل
واختيار المدلول قبل الختلاف الدّليل وهم اصحاب ابى بكر بن ابى قحافة التّيمى وعمر بن الخطّاب
العدوىّ ومن يحذو حذوهم من الّذين قالوا بالاجتهاد والرّاى فى كلّ شئ فيتبدّل
آراءهم ويختلف علماءهم ان يتّبعون الّا الظّنّ وما تهوى الانفس وان هم الّا يخرصون
وهؤلاء صنفان مجتهد ومقلّد امّا مجتهدهم فكيفيّة التّفقّه عنده استفراغ الوسع
فى تحصيل الظّنّ فيما يحتاج اليه النّاس من العلوم الدّينيّة اصوليّة كانت او
فروعيّة من القوانين الّذى وضعوها والقواعد الّذى اخترعوها للاستعانة
بها على الاستنباط من المتشابهات وامّا مقلّدهم فكيفيّة التّفقّه عنده ان ياخذ
من مجتهده ما استنبطه بنظره ولو بواسطة ووسائط وفرقة قالوا بالنّصّ من
الله عزّ وجلّ فى تعيين الامام والاقتصار على اتّباع المحكمات فى العقائد والاحكام
وقوفا على ما جاء به الوحى والتّنزيل واتّقاءً عمّا كاد يفضى الى الضّلال والتّضليل
وهم اصحاب امير المؤمنين علىّ بن ابيطالب الّذين لا يقولون الّا على النّصوص
بالخصوص فى كل شئ مسلّمين لامامهم الاخذ علمه من الله ومن رسوله فى كلّ
ما انهاه اليهم فى شئ بشئ مطيعين لما امرهم الله تعالى حيث قال فاسئلوا
اهل الذّكر ان كنتم لا تعلمون وحيث قال يا ايّها الّذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرّسول واولى الامر منكم وامّا ما ترى من اجتهاد بعض متاخّرى اصحابنا و
تدوينهم الاصول وخوضهم فى الفضول فانّما ذلك لشبهة جرت فيهم من
مخالفيهم كما بيّنّا وجهه فى سفوراتنا مع احتمال ان يكون سبب حدوثه فيهم

أو لا مصلحة راواها ومماشاة مع مخالفيهم راعوها لئلا يزعموا ان دقايق العلم ليست فينا ثم صار ذلك شبهة لمن تاخر عنهم جرت فيهم ثم سرت في ذويهم وعلى التقديرين فليس ذلك قادحا في منزلتهم العليا ولا سببا لالحاقهم بالفرقة الاولى حاشاهم عن ذلك فان لهم حقوقا جمة على الفرقة الناجية الجليلة بترويجهم المذهب الحق بمساعيهم الجميلة ورفعهم جل التقية عن كثير من العباد والبلاد فجزاهم الله عنا خير الجزاء وحشرهم مع ائمتهم يوم التناد وهؤلاء الفرقة الثانية يرجعون الى امامهم في التفقه حين تيسر لهم ذلك والا فهم ايضا صنفان بصير ومستبصر وبعبارة اخرى فقيه ومتفقه وبعبارة ثالثة خاصي وعامي وان شئت فسمهما المجتهد والمقلد فلا مشاحة في الالفاظ اما بصيرهم وهو الذي له فهم وذكاء وقوة قدسيه وزهد في الدنيا وورع في الدين فكيفية التفقه عنده ان يتبع محكمات الكتاب والسنة ومحكمات احاديث اهل البيت عليهم السلام مما صح عنهم فيستفهم منها ما يجب اعتقاده وما يجب ان يعمل به ويشيده بشواهد عقله القويم وفهمه المستقيم ويؤيده بواردات ترد على ذهنه المصفى باعماله الصالحة المرضية وقلبه المنور بنور اخلاقه المهذبة الذكية فان شرف العقل لا يخفى ولولاه لما عرف الشرع وكانه شرع من داخل كما ان الشرع عقل من خارج وهما يتعاضدان ويتظاهران الى ان يصيرا كانهما متحدان وفي الحديث ما ادى العبد فرايض الله حتى عقل عنه ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل والعقلاء هم اولوا الالباب ولا تظنن ان خواص المؤمنين انما امنوا بالله واليوم الاخر بمجادلات المتكلمين وادلة المجادلين هيهات هيهات وانما عرفوا الله بمثل ما قلناه من تعاضد العقل والشرع واجتماع النور الداخل مع النور الخارج كاجتماع نور العين مع نور الشمس والى مثل هذا العقل اشير بقوله عز وجل يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار نور على نور يعني نور العقل والشرع وفي الحديث ليس العلم بكثرة التعلم انما هو نور يقذفه الله في قلب من يريد الله ان يهديه فهذا البصير ان تبين له الحكم بحيث لا شبهة فيه ولا ريب يعتريه اخذ به وشكر الله وان اشتبه عليه الامر وكل

في الرؤيد

علمه الى الله والى امامه المنصوص عليه من الله وعمل فيه بالاحوط ولا يفتى فى مثله
فى الحتم والبت قال الصادق عليه السلم اما انه شر عليكم ان تقولوا بشئ مالم تسمعوه
منا وقال عليه السلم كل علم لا يخرج من هذا البيت فهو باطل واشار بيده الى بيته
فلا يخترع من تلقاء نفسه قاعدة كلية غير منقحة ولا مسموعة ليقع الاختلا
فيه كقاعدة حجية خبر الواحد او عدم حجيته على الاطلاق التى لم يتحرر محل
التنازع فيه قط ولن يتحرر الى غير ذلك من القوانين المسماة عند اهلها باصول
الفقه بل يطلب فى كل مسئلة اهمته رواية خاصة يجوز التعويل عليها او دراية
ناصة تطمئن النفس اليها ولا يحكم بالمتشابه الا بالتشابه لان الحكم فيه كيف
يجوز ان يجعل المتشابه محكما وقد جعله الله متشابها فلا ينبغى تاويله ولا رده
الى احد الطرفين كما يفعله الذى فى قلبه زيغ وذلك لان الله سبحانه جعل
الامور ثلثة كما ورد فى الحديث النبوى بين رشده فيتبع وبين غيه فيجتنب
ومتشابهات بين ذلك يرد حكمها الى الله والى الراسخين فى العلم العالمين
بتاويله فكيف يطلب التثنى فيما حكم الله فيه بالتثليث مع ان فى المتشابه حكما و
مصالح يمتحن الله بها اصناف عباده ولا يجمع ايضا بين الاخبار المتعارضة
الا بما اشار اليه المروى عنهم عليهم السلام من التفصيل الذى ينتهى الى
التخيير وبذلك ينجو البصير من الخلاف والاختلاف والقول بالراى و
الجزاف فلا اجتهاد عنده ولا راى ولا اجماع بل ليس معوله الا على الرواية و
الدراية والسماع ومعنى الاجماع عنده ليس الا اتفاق قدماء الاصحاب على
العمل بالنص المشهور بحيث صار من الضروريات حتى عند الجمهور كمسح الرجلين
ونزع الخفين عند الوضوء فالاجماع عنده تابع للنص مؤيد له لا النص مستنبط
من الاجماع كما اشتهر بين طائفة من اهل الخلاف والنزاع واليه اشير فى كلام
الصادق عليه السلام فى خبر تعارض الاخبار خذ بالمجمع عليه بين اصحابك
فان المجمع عليه لا ريب فيه واما عوام هذه الفرقة فكيفية تفقههم ان ياخذوا
مسائلهم عن خواصهم ولو بواسطة و وسائط الا ان اليوم اشتبه عليهم الامر
غاية الاشتباه لالتباس من ليس بالخواص بالخواص وادخالهم انفسهم فى جملتهم

فصارت العوام حائرين بائرين لا يهتدون على شئ ولا يدرون ايّا من
اىّ فالحزم لهم ان يرجعوا فى ذلك الى قوم متديّنين عارفين باهل البصيرة
ليعرّفوهم ايّاهم فان لم يتيسّر فليستفت العامى من غلب على ظنّه انّه منهم وانّه
ممن لا يبيع دينه بدنياه فان افتاه بحكم فليسئله هل هذا الحكم فى كتاب الله او
سنّة رسول الله او حديث احد من المعصومين عليهم السلم فان قال نعم فليعمل
به وان قال انّه ليس فى شئ منها بخصوصه وانّما يستفاد منها بالاستنباط او
او هو ممّا اجمعوا عليه من غير نصّ بلغنى فيه او نحو ذلك سال غيره حتّى
يصادف من اجابه بالقران وبالحديث بخصوص ونصوص او اشار له الى
الاحتياط او التخيير فان فعل العامىّ ذلك فهو المتفقّه فى تلك المسئلة هذا
هو الحقّ المبين ومذهب قدمائنا الاماميّين وعليه المعوّل فى الدين و
ليس من انتسب الى اهل البيت عليهم السلم ويسمّى بالشيعة والامامى والاثنى عشرى الّا
الاخذ بذلك فان خرج عن هذا الطريق الى شئ من طرق المخالفين من غير عذر
فقد خرج عن صدق هذا الانتساب وهذه التسمية على وجهه وان لم يشعر بذلك
ثمّ لا تظنّنّ ان العلم بصدق نسبة مضمون اخبار المعصومين عليهم السلم اليهم لا بدّ
ان يكون كالعلم بوجودهم فى الوضوح والانارة والقوّة او تواترها كتواتره والّا
فهى اخبار احاد لا تفيد الّا الظنّ كلّا كيف ولو نوزعت ذلك فما اراك تستيقن
بامامتهم لانّ قوّة علمك بامامتهم ليست كقوّة علمك بوجودهم ولا تواترها كتواتره
قطعا بل اراك لم تعرف بعد انّ اليقين كالظنّ له مراتب فى القوّة والضّعف وانّه
يزداد بازدياد نورى العقل والشّرع واعتضاد كلّ منهما الاخر وانّ فى الاحكام الشرعية
يكتفى باقلّ مراتبه مع انّ اكثر الاخبار الاحكامية ليست فى القوّة باقلّ من اخبار
الامامة متنا وسندا فكلّما اطمانّت النفس من الاخبار نعمل به وكلّما لم تسكن
اليه فذره فى سنبله روى فى الكافى باسناده عن ابى عبد الله عليه السلام انّه سئل
عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به ومن لا نثق به قال اذا ورد عليكم حديث
فوجدتم له شاهدا من كتاب الله او من قول رسول الله صلّى الله عليه وآله والّا فالّذى
جاءكم به اولى به وفيه باسناده عنه عليه السلم قال كلّ شئ مردود الى الكتاب والسّنّة

وكلّ حديث لا يوافق كتاب الله فهو مزخرف وفي عيون الاخبار عن الرّضا عليه السّلم
في حديث طويل قال في اخره بعد ذكر العرض على الكتاب ثمّ السّنّة ثمّ التّخيير والرّدّ
الى رسول الله ص ومالم تجده في شئ من هذه الوجوه فردّوا علينا علمه فنحن اولى
بذلك ولا تقولوا فيه بارائكم وعليكم بالكفّ والتّثبّت والوقوف وانتم طالبون
باحثون حتّى ياتيكم البيان من عندنا وورد في الحثّ على العمل باخبارهم عليهم السّلم
اخبار بلغت قريبا من مبلغ التّواتر منها مايدلّ على جواز الاخذ بها وان صدرت
عن تقيّة ومنها مايدلّ على جواز العمل بها وان لم يصدر عنهم عليهم السّلام في
الواقع وهو قول الصّادق ع من سمع شيئا من الثّواب على شئ فصنعه كان له
اجره وان لم يكن على مابلغه وذلك لانّه تسليم وطاعة وانقياد ولا راى فيه ولا
اجتهاد وقال الصّادق عليه السّلم احتفظوا بكتبكم فانكم سوف تحتاجون اليها
وقال المفضل بن عمر اكتب وبثّ علمك في اخوانك فان متّ فاورث كتبك بنيك
فانّه ياتى على النّاس زمان هرج لا يستانسون فيه الّا بكتبهم وقال صاحب زماننا ع
وامّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا فانّهم حجّتى عليكم وانا
حجّة الله عليهم وبالجملة قد اذنوا في الاخذ بالاخبار والكتب بالتّسليم والانقياد
ولم ياذنوا في الاخذ بالاراء والاجتهاد بل نهوا فليس لنا الّا الاتباع والاقتصار
على السّماع من دون ابتغاء الدّليل والله يقول الحق وهو يهدى السّبيل
ومن فضل الله علينا ولطفه بنا وله الحمد اضعاف ماحمده الحامدون ان جعل لنا
اماما بعد امام ظاهرا فينا وان كان مستورا على اعدائنا الى ان انقضى من الهجرة
النّبويّة مائتان وستّون سنة ثمّ جعل للاخير بعد غيبته سفراء الى قريب من
تمام ثلثمائة وثلثين سنة وكان اصحابنا في هذه المدّة المديدة ياخذون العلوم
الدّينيّة ظاهرها وباطنها من معدنها على اطمينان من قلوبهم وانشراح من صدورهم
بقدر قابليتهم ورتبتهم ومنزلتهم فاغناهم الله بذلك عن تقليد من لا يجوز تقليده
ونجاهم به من حيرة الحيران وبعد انقضاء هذه المدّة كانوا يرجعون الى الاصول
الماخوذة عنهم المشتملة على اكثر مايحتاج اليه النّاس حتى شذّ مسئلة ضروريّة
لا يكون فيها حكم جزئيّ اوكلّيّ عنهم عليهم السّلام وفقّ الله من وفّق قال امير المؤمنين ع

بامعشر

يا معشر شيعتنا والمنتحلين ولايتنا اياكم واصحاب الرأى فانهم اعداء السنن تفلتت
منهم الاحاديث ان يحفظوها واعيتهم السنة ان يعوها فاتخذوا عباد الله خولا وماله
دولا فذلت لهم الرقاب واطاعهم الخلق اشباه الكلاب ونازعوا الحق واهله فتمثلوا
بالائمة الصالحين وهم من الجهال الملاعين فسئلوا عما لا يعلمون فانفوا ان يعرفوا بانهم
لا يعلمون فعارضوا الدين بارائهم وضلوا فاضلوا اما لو كان الدين بالقياس لكان
باطن الرجلين اولى بالمسح من ظاهرهما وعن الباقر عم من افتى الناس برايه فقد دان
الله بما لا يعلم ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضاد الله حيث احل وحرم فيما لا يعلم وعن
الصادق عليه السلم انه قيل له ترد علينا اشياء لا نعرفها فى كتاب ولا سنة ننظر فيها قال
لا اما انك لو اصبت لم توجر ولو اخطات كذبت على الله وقال امير المؤمنين عليه السلم
فى ذم اختلاف الفتيا ترد على احدهم القضية فى حكم من الاحكام فيحكم فيها برايه ثم
ترد تلك القضية على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله ثم يجتمع القضاة بذلك عند امامهم
الذى استقضاهم فيصوب اراءهم جميعا والههم واحد وكتابهم واحد ونبيهم واحد
افامرهم الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه ام نهاهم عنه فعصوه ام انزل الله سبحانه دينا
ناقصا فاستعان بهم على اتمامه ام كانوا شركاء له فلهم ان يقولوا وعليه ان يرضى
ام انزل الله دينا تاما فقصر الرسول عن تبليغه وادائه والله سبحانه يقول ما فرطنا
فى الكتاب من شئ وفيه تبيان لكل شئ وذكر ان الكتاب مصدق بعضه بعضا
وانه لا اختلاف فيه وقال سبحانه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا وان القران ظاهره انيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضى غرائبه ولا
تنكشف الظلمات الا به وعنه عليه السلم اعلموا عباد الله ان المؤمن يستحل العام ما
استحل عاما اول ويحرم العام ما حرم عاما اول وان ما احدث الناس لا يحل لكم
شيئا مما حرم الله عليكم ولكن الحلال ما احل الله والحرام ما حرم الله واما
علم الكلام فحاصل ما يشتمل عليه من الادلة التى ينتفع بها فالقران والاخبار مشتملة عليه
وما خرج عنها فهو اما مجادلة مذمومة واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق
وتطويل بنقل المقالات التى اكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع
واكثرها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شئ من ذلك مألوفا فى العصر الاول وكان

الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن اليوم صار مما لا بد منه حراسة لقلوب العوام
عن تخييلات المبتدعة وانما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدث حاجة الانسان
الى استيجار البدرقة فى طريق الحج لحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو تركت العرب
عداوتهم لم يكن استيجار الحراس من شروط طريق الحج والمتكلم ان تجرد للمناظرة ولم
يسلك طريق الاخرة ولم يشتغل بتعهد القلب واصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين
اصلا اذ ليس عند المتكلم من الدين الا العقيدة التى لا يشاركه سائر العوام فيها
وهى من جملة اعمال ظاهر القلب واللسان وانما يتميز عن العامى بصنعه المجادلة و
الحراسة فاما معنى معرفة الله سبحانه وصفاته وافعاله وجميع ما اشرنا اليه من العلوم
الدينية فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد يكون الكلام حجابا ومانعا عنه وانما الوصول
اليه بالمجاهدة التى جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية قال تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا قال امير المؤمنين عليه السلام من طلب الدين بالجدل تزندق و
روى ان رجلا قال للحسين بن على عليهما السلام اجلس حتى نتناظر فى الدين
قال يا هذا انا بصير بدينى مكشوف على هداى فان كنت جاهلا بدينك فاذهب
فاطلبه مالى وللمماراة وعن الباقر عليه السلام الخصومة تمحق الدين وتحبط
العمل وتورث الشك وعن الصادق عليه السلام لا يخاصم الا شاك او من لا ورع
له وعن الكاظم عليه السلام انه قال لعلى بن يقطين مر اصحابك ان يكفوا عن السنتهم
ويدعوا الخصومة فى الدين ويجتهدوا فى عبادة الله عز وجل وعن الرضا عليه السلام
انه سئل فى مكاتبة انهم نهوا عن الكلام فى الدين فتاول مواليك المتكلمين بانه
انما نهى من لا يحسن ان يتكلم فاما من يحسن ان يتكلم فلم ينهه فهل ذلك كما تاولوا
فكتب عليه السلام المحسن وغير المحسن لا يتكلم فيه فان اثمه اكبر من نفعه انما
منعوا من الجدال والمناظرة لان لهما آدابا وشروطا لا بد من مراعاتهما وآفات
يجب التجنب عنها وقل من يهتدى اليها ويوفق لما يجب والا فالجدال التى هى احسن
مامور به قال ابو محمد الحسن العسكرى عليه السلام قد نهوا عنه فقال الصادق عليه السلام لم ينه
عنه مطلقا ولكنه نهى عن الجدال بغير التى هى احسن اما تسمعون الله يقول ولا
تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن وقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة و
الموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن فالجدال بالتى هى احسن قد امر به

ذكر عند الصادق ع الجدال فى الدين وان رسول الله والائمة عليهم السلام

العلماء

العلماء بالدين والجدال بغير التي هي احسن محرم حرمه الله على شيعتنا وكيف يحرم
الجدال جملة وهو يقول وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودًا او نصارى
قال الله تعالى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فجعل علم الصدق
الاتيان بالبرهان وهل يؤتى بالبرهان الا في الجدال بالتي هي احسن قيل يا ابن
رسول الله فما الجدال بالتي هي احسن والتي ليست باحسن قال اما الجدال بغير التي
هي احسن فان تجادل مبطلا فيورد عليك باطلا فلا ترده بحجة قد نصبه الله تعالى
ولكن تجحد حقا يريد ذلك المبطل ان يعين به باطله فتجحد ذلك الحق مخافة ان يكون
له عليك حجة لانك لا تدرى كيف المخلص منه فذلك حرام على شيعتنا ان يصيروا فيه
فتنة على ضعفاء اخوانهم وعلى المبطلين اما المبطلون فيجعلون ضعف الضعيف منكم
اذا تعاطى مجادلته وضعف في يده حجة له على باطله واما الضعفاء فتغتم قلوبهم لما
يرون من ضعف المحق في يد المبطل واما الجدال بالتي هي احسن وهو ما امر الله به
نبيه ان يجادل به من جحد البعث بعد الموت واحياءه له فقال الله له حاكيا عنه
وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم وقال الله في الرد عليه قل
يا محمد يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا
الى اخر السورة فاراد الله من نبيه ان يجادل المبطل الذي قال كيف يجوز ان يبعث هذه
العظام وهي رميم فقال الله قل يحييها الذي انشاها اول مرة افيعجز من ابتداه لا
من شئ ان يعيده بعد ان يبلى بل ابتداءه اصعب عندكم من اعادته ثم قال الذي جعل
لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون اى اذا كمن النار الحارة في الشجر الاخضر
الرطب ثم يستخرجها فعرفكم انه على اعادة ما بلى اقدر ثم قال او ليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلها بلى وهو الخلاق العليم اى اذا كان خلق السموات
والارض اعظم وابعد في اوهامكم وقدركم ان تقدروا عليه من اعادة البالي فكيف
جوزتم من الله خلق هذا الاعجب عندكم والاصعب لديكم ولم تجوزوا منه ما هو
اسهل عندكم من اعادة البالي قال الصادق عليه السلام فهذا الجدال بالتي
هي احسن لان فيها قطع عذر الكافرين وازالة شبههم فاما الجدال بغير التي هي
احسن فان تجحد حقا لا يمكنك ان تفرق بينه وبين باطل من تجادله وانما

تدفعه عن باطله بان تجحد الحق فهذا هو المحرم لانك مثله جحدت حقا وجحدت انت
حقا اخر وللعلم النافع صفات وعلامات وآداب فعن الصادق عليه السلم في
قول الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء قال يعني بالعلماء من صدق فعله قوله
ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم وعنه عليه السلم اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم و
الوقار وتواضعوا لمن تعلمونه العلم وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ولا تكونوا علماء
جبارين فيذهب باطلكم بحقكم وعن الرضا عليه السلم قال ان من علامات الفقه الحلم
والصمت وعن الصادق عليه السلم قال قال امير المؤمنين عليه السلم الا اخبركم بالفقيه حق
الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يرخص لهم في
معاصي الله ولم يترك القرآن رغبة عنه الى غيره الا لا خير في علم ليس فيه تفهم الا لا خير
في قراءة ليس فيها تدبر الا لا خير في عبادة لا فقه فيها الا لا خير في نسك لا ورع فيه يعني
ان الفقيه حقيقة ليس الا من يكون عالما بالمراد من الوعد والوعيد جميعا عارفا
بالمقصود من الاوامر والنواهي جملة بملاحظة بعضها الى بعض وانما عرف الفقيه
بهذه العلامات السلبية لان اكثر من تسمى عند الجمهور بهذا الاسم في كل زمان
يكون موصوفا باضدادها فكانه عليه السلم عرض بالعلماء السوء والفقهاء الزور
وقد ابطل بكل علامة مذهبا من المذاهب الباطلة او اكثر في الاصول والفروع فبالاولى
ابطل مذهب المعتزلة القائلة بايجاب الوعيد وتخليد صاحب الكبيرة في النار ومذهب
الخوارج المضيقين في التكاليف الشرعية وبالثانية مذهب المرجئة ومن يجري
مجراهم من المغترين بالشفاعة وصحة الاعتقاد وبالثالثة مذهب الحنابلة و
الاشاعرة ومن يشبههم كاكثر المتصوفة وبالرابعة مذهب المتفلسفة الذين اعرضوا
عن القران واهله وحاولوا اكتساب العلم والعرفان من كتب قدماء الفلاسفة
ومذهب الحنفية الذين عملوا بالقياس وتركوا القران والحديث والعلم الذي
ليس فيه تفهم كالعلم الظني والتقليدي ومجرد حفظ الاقوال والروايات فانها
ليست بعلم في الحقيقة وعن الباقر عليه السلام انه سئل عن مسئلة فاجاب فيها
فقال الرجل ان الفقهاء لا يقولون هذا فقال يا ويحك وهل رايت فقيها قط
ان الفقيه حق الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الاخرة المستمسك بسنة النبي

صلى الله

صلّى الله عليه وآله وعن الصّادق عليه السّلام قال طلبة العلم ثلاثة فاعرفهم باعيانهم وصفاتهم صنف يطلبه للجهل وصنف يطلبه للاستطالة والختل وصنف يطلبه للفقه والعقل فصاحب الجهل والمراء مؤذى ممارى متعرض للمقال فى اندية الرّجال بتذاكر العلم وصفة الحلم قد تسربل بالخشوع وتخلّى من الورع فدق الله من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه وصاحب الاستطالة والختل ذو خب وملق يستطيل على مثله من اشباهه ويتواضع للاغنياء من دونه فهو لحلوائهم هاضم ولدينه حاطم فاعمى الله على هذا خبره وقطع من اثار العلماء اثره وصاحب الفقه و العقل ذو كآبة وحزن وسهر قد تحنّك فى برنسه وقام الليل فى حندسه يعمل ويخشى وجلا داعيا مشفقا مقبلا على شانه عارفا باهل زمانه مستوحشا من اوثق اخوانه فشدّ الله من هذا اركانه واعطاه يوم القيمة امانه وعن النبىّ صلّى الله عليه وآله العلماء رجلان رجل عالم اخذ بعلمه فهذا ناج وعالم تارك لعلمه فهذا هالك وانّ اهل النّار ليتاذّون من ريح العالم التّارك لعلمه وانّ اشدّ اهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبدًا الى الله فاستجاب له وقبل منه فاطاع الله فادخله الله الجنّة و ادخل الدّاعى النّار بترك علمه واتباعه الهوى وطول الامل واما اتباع الهوى فصدّ عن الحق وطول الامل ينسى الاخرة وعنه صلّى الله عليه وآله منهومان لا يشبعان طالب دنيا وطالب علم فمن اقتصر من الدّنيا على ما احلّ الله له سلم ومن تناولها من غير حلّها هلك الّا ان يتوب او يراجع ومن اخذ العلم من اهله وعمل بعلمه نجا ومن اراد به الدّنيا فهى حظّه وعن السجاد عليه السّلام مكتوب فى الانجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولمّا تعملوا بما علمتم فان العلم اذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه الا كفرا و لم يزدد من الله الا بعدا وعن الباقر عليه السّلام من طلب العلم ليباهى به العلماء او يمارى به السّفهاء او تصرف به وجوه النّاس فليتبوّء مقعده من النّار انّ الرّياسة لا تصلح الّا لاهلها و عن الصّادق عليه السّلام العلم مقرون بالعمل من علم عمل ومن عمل علم والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والّا ارتحل عنه وعنه عليه السّلام اذا رايتم العالم محبّا للدّنيا فاتهموه على دينكم فانّ كلّ محبّ لشئ يحوط ما احبّ ينبغى للمتعلم ان يطهّر نفسه اوّلا من رذائل الاخلاق ومذموم الاوصاف والعلم عبادة القلب وصلوة السّر وقربة الباطن

الى الله فكما لا تصح الصلوة التى هى وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر من الحدث
الاحداث والاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته
من خبائث الاخلاق وانجاس الاوصاف قال النبى صلعم بنى الدين على النظافة وهو
كذلك ظاهرا وباطنا وقال الله تعالى انما المشركون نجس تنبيها للعقول على ان الطهارة
والنجاسة غير مقصورتين على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب
مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر اى باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما
يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن اهم بالاجتناب فانها مع خبثها
فى الحال مهلكات فى المآل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يدخل الملائكة
بيتا فيه كلب والقلب بيت وهو منزل الملائكة ومهبط اثرهم ومحل استقرارهم و
الصفات الردية مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب واخواتها كلاب
نابحة فانى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله عز وجل فى
القلب الا بواسطة الملائكة ويبنغى للمعلم ان يخلص تعليمه لله من غير طمع و
ان يشفق على المتعلم وينصحه ويقتصر على قدر فهمه وان يبذل العلم لاهله و
يمنع غير اهله فعن الصادق عليه السلم قال قام عيسى بن مريم خطيبا فى بنى اسرائيل فقال
يا بنى اسرائيل لا تحدثوا الجهال بالحكمة فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم
وان لا يقول ما لا يعلم سئل الباقر عليه السلم ما حق الله على العباد قال ان لا يقولوا ما
لا يعلمون ويقفوا عند ما لا يعلمون وعن الصادق عليه السلم قال ان الله خص عباده بايتين
من كتابه ان لا يقولوا حتى يعلموا ولا يردوا ما لم يعلمو وقال الم يوخذ عليهم ميثاق
الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق وقال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم
تاويله وعنه عليه السلام اياك وخصلتين ففيهما هلك من هلك اياك ان
تفتى الناس برائك او تدين بما لا تعلم وعن الباقر عليه السلام من افتى
الناس بغير علم ولا هدى من الله لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب
ولحقه وزر من عمل بفتياه اراد بالعلم ما يستفاد من الانوار الالهية و
الالهامات الحقة كما هو للائمة عليهم السلم وبالهدى ما يسمع من اهل بيت النبوة كما هو لنا
وبملائكة الرحمة الهادون لنفوس الاخيار الى مقاماتهم فى درجات الجنان وبملائكة العذاب السائقون

لنفوس

١١

الشايقون لنفوس الاسراد الى منازلهم في دركات الجحيم والنيران وعن الصادق عليه السلام
اذا سئل الرجل منكم عما لا يعلم فليقل لا ادري ولا يقل الله اعلم فيوقع في قلب صاحبه شكا و
اذا قال المسئول لا ادري فلا يتهمه السايل ويبنغي لمن اراد العبادة
لله سبحانه ان يحصل اولا العلم بكيفية تلك العبادة من ماخذه وماخذ العلوم
جميعا اهل بيت النبوة الذين هم مهابط الوحي وينابيع الحكمة الاخذين
علومهم من الله سبحانه سئل الباقر عليه السلام عن قول الله تعالى فلينظر الانسان
الى طعامه ما طعامه قال علمه الذي ياخذه ممن ياخذه ولما كان تفسير الاية
ظاهرا لم يتعرض له وانما تعرض لتاويلها وعن النبي صلعم من عمل بغير علم كان
ما يفسد اكثر مما يصلح وعن الصادق عليه السلام العامل على غير بصيرة كالسائر
على غير طريق لا يزيده سرعة السير الا بعدا والسر في ذلك ان اصلاح القلب وتطهيره
بالعبادات الجسمانية وتصفية النفس وتهذيبها بالاعمال البدنية ليست مقصو
بالذات لانها كالاعدام للملكات والعدم لا يكون مطلوبا الا بالعرض انما المطلوب
ان ينكشف له المعارف الحقيقية من العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الاخر لكل انسان بحسب عقله وفهمه على تفاوت مراتبهم في ذلك ولا ينكشف هذه
المعارف الا بان يقع ذلك الاصلاح والتطهير على وجهه ماخوذا من صاحب
الشرع صلوات الله عليه مع اعتقاد صحيح ولو بالسماع منه فمن اقتصر في
سلوكه على مجرد العمل والرياضة والمجاهدة من غير بصيرة ولا معرفة
فالتصفية بتصير وبالا عليه اذ يتحرك النفس بالخواطر الوهمية ويستولي
عليه وساوس النفسانية فتشوش القلب حيث لم يتقدم له رياضة
النفس بالعلوم الحقة والافكار الصحيحة ولم ياخذ كيفية العبادة عن صاحب
الشرع وخلفائه صلوات الله عليهم فتتشبث بالقلب خيالات فاسدة وتصورات
باطلة واوهام كاذبة وربما يتخيل في ذات الله سبحانه وصفاته اعتقادات
فاسدة من باب الكفر والزندقة وفي زعمه انها صحيحة حقة نعوذ بالله منه وربما
يقتدي به غيره فيتادى شره ويصير من الجاهلين المتنسكين القاصمين للظهر ثم مع
ذلك قلما يخلو من اعجاب بنفسه وافتخار بعمله واغترار بعبادته ونظر الى ساير
الناس بعين الاحتقار والازدراء ومما يتشحن باطنه بامراض نفسانية وهو

غافل عنها غير ملتفت الى معالجتها اذ التيها وربما يظن الرذايل فضايل والنقو كمالات كما اخبر الله سبحانه بقوله قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا قال امير المؤمنين عليه السلام قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك يغر الناس بتنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه وقال الصادق عليه السلام لا يقبل الله عملا الا بمعرفة ولا معرفة الا بعمل فمن عرف دلته المعرفة على العمل ومن لم يعمل فلا معرفة له الا ان الايمان بعضه من بعض معناه ان كل معرفة يثمر حالا وصفاء في النفس وكل حال يحمل صاحبه على عمل وعبادة وكل تثمر حالا اخرى وصفاء غير الاول وهو يثمر معرفة اخرى سوى الاولى وهكذا يتكامل الايمان المرء بالمعرفة والعبادة حتى يبلغ الغاية ويخلص من التعب والمشقة واستقر في مقام الامن والراحة واصلا الى عين اليقين ومثل هذه ذلك مثل من يمشي بسراج في ظلمة فكلما اضاء له من الطريق قطعة مشى فيها فيصير ذلك المشي سببا لاضاءة قطعة الاخرى منه وهكذا وفي الحديث النبوي صلى الله عليه واله من علم وعمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم فصل قد ورد في ذم اهل البدع والاهوا والجهال المتشبهين بالعلماء اخبار كثيرة عن ائمة الهدى صلوات الله عليهم ولنورد منها نبذا يكون انموذجا لما سواها فعن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلعم اذا رايتم اهل البدع والريب من بعدي فاظهروا البراءة منهم واكثروا من سبهم والقول فيهم والوقيعة وباهتوهم حتى لا يطمعوا في الفساد في الاسلام ويحذرهم الناس ولا يتعلمون من بدعهم يكتب الله تعالى لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات وقال صلى الله عليه واله اذا ظهرت البدع في امتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله وقال صلى الله عليه وآله عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الايمان وليا من اهل بيتي يذب عنه ينطق بالهام من الله ويعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين ويعبر عن الضعفاء فاعتبروا يا اولى الابصار وتوكلوا على الله وقال صلى الله عليه واله كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وقال امير المؤمنين عم في خطبة له انما بدو وقوع الفتن اهواء تتبع واحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله يتولى فيها رجال رجالا فلو ان الباطل خلص

12

نجى

لم يخف على ذي حجى ولو ان الحق خلص لم يكن اختلاف ولكن يؤخذ من هذا ضغث و
ضغث م من هذا فيمزجان فيجيئان معا فهنالك استحوذ الشيطان على اوليائه ونجى الذين
سبقت لهم من الله الحسنى وقال عليه السلام ان من ابغض الناس الى الله تعالى لرجلين رجل
وكله الله الى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعة قد لهج بالصوم والصلوة
فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدى من كان قبله مضل لمن اقتدى به في حيوته
وبعد موته حمال خطايا غيره رهن بخطيئته ورجل قمش جهلا في جهال الناس عان
باغباش الفتنة قد سماه اشباه الناس عالما ولم يغن فيه يوما سالما بكر فاستكثر
ما قل منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من آجن واكتنز من غير طايل جلس بين الناس قاضيا ضامنا
لتخليص ما التبس على غيره وان خالف قاضيا سبقه لم يامن ان ينقض حكمه من ياتي بعده كفعله بمن كان
قبله وان نزلت به احدى المبهمات المعضلات هيأ لها حشوا من رايه ثم قطع فهو من لبس الشبهات
في مثل غزل العنكبوت لا يدري اصاب ام اخطا لا يحسب العلم في شيء مما انكر ولا يرى ان وراء ما بلغ
منه مذهبا ان قاس شيئا بشيء لم يكذب نظره وان اظلم عليه امر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه لكي
لا يقال له لا يعلم ثم جسر فقضى فهو مفاتيح عشوات ركاب شبهات خباط جهالات لا يعتذر
مما لا يعلم فيسلم ولا يعض في العلم بضرس قاطع فيغنم يذري الروايات ذرو الريح الهشيم تبكي منه المواريث
وتصرخ منه الدماء يستحل بقضائه الفرج الحرام ويحرم بقضائه الفرج الحلال لا ملي باصدار ما
عليه ورد ولا اهل لما منه فرط من ادعائه علم الحق وقال عليه السلام الى الله اشكو من معشر يعيشون جهالا
ويموتون ضلالا ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته ولا انفق سلعة ولا اغلى
ثمنا من الكتاب اذا حرف عن مواضعه ولا عندهم انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر وعن
الصادق عليه السلام ان اصحاب المقائيس طلبوا العلم بالمقائيس فلم تزدهم المقائيس من الحق
الا بعدا وان دين الله لا يصاب بالمقائيس وعن الكاظم عم من نظر برايه هلك ومن
ترك كتاب الله وقول نبيه كفر ولما كان غرضنا في هذا الكتاب مقصورا على حقائق العلوم
الدينية اكتفينا بذلك ولم نتعرض لازيد منه ولا العلوم الاخر وعن امير المؤمنين عم انه
قال العلم اكثر من ان يحاط به فخذوا من كل علم احسنه وزاد في رواية اخرى فان النحل
ياكل من كل ~~علم احسنه ومنه~~ زهر انيقه فيتولد جوهران احدهما فيه شفاء للناس والاخر يستضاء
به اقول وتصديق ذلك في قول الله سبحانه فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
اولئك الذين هديهم الله واولئك هم اولو الالباب
اعلم ان العقايد لا

يجوز اخذها الا بوحي من الله سبحانه بواسطة الانبياء ثم الاوصياء مع ما فطر الناس عليه
من المعرفة قال الله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم
فقد ورد ان المراد بها المعرفة وفي بعضها التوحيد وفي الحديث النبوي كل مولود يولد على الفطرة
فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه والفطرة في الاصل الجبلة وهي عبارة عن العقل المطبوع
الذي هو شرع من داخل كما ان الشرع عقل من خارج فان العقل كالسراج والشرع كا
لزيت بمدة فما لم يكن زيت لم يشعل السراج وما لم يكن سراج لم يضئ الزيت وايضا
العقل كالبصر والشرع كالشعاع ولن ينفع البصر ما لم يكن شعاع من خارج ولن يغني
الشعاع ما لم يكن بصر قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه
سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه فسحقا لاقوام عزلوا عقولهم واعرضوا
عن رسلهم واتبعوا اهواءهم فضلوا واضلوا ثم ان اعقل العقلاء نبينا صلى الله عليه وآله وسلم
وخير الشرايع شرعه وانما ارسله الله وانزل معه الكتاب ليقوم الناس بالقسط فصدع بامر الله
وهدى الخلق الى صراط الله وارشدهم الى معرفة صانعهم ويوم اتى لهم ببيان وبرهان
ناسبا عقولهم ونبههم على ادلة وحجج بلغت اليها افهامهم واتى لكل طائفة منهم لا بعقله بما يصلح
وفهمه من برهان وخطابة وجدال بالتي هي احسن ومعجزة لمن له العجز ابين ليكونوا
على بصيرة من امرهم وليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ثم اكمل لهم ونبههم امورا
بحيث لم يحتج امته الى اراء الناقلين فيما يهمهم ويعينهم من امر الدين وليس لقايل ان
يقول ان ثبوت الانبياء والشرايع يتوقف على ثبوت الصانع وصفاته الكاملة فكيف يعرف
الصانع وصفاته بالانبياء والشرايع وذلك لانه لو لم يكن صاحب هذا الكلام والبيان
مقبول القول ومعصوم الفعال لكان فيها الحجة من حيث مطابقتها لمقتضى العقول
السليمة فان براهينه هي المتبعة وبينا ترويجه هي الملزمة على ان ما يتوقف عليه
الشرع من معرفة الصانع وصفاته يجري مجرى الضروريات التي يحكم بها كل من له
ادنى مسكة قال الله عز وجل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
فقد ثبت ان ما ورد في الشرع كاف في الاهتداء الى سبيل الحق مع ما جبل عليه اهل
السلامة من العقل المطبوع فلا حاجة الى تكلفات المتكلفين على اختلاف طبقاتهم
وتشعب آرائهم وتناقض اهوائهم في ابداء الادلة وايضاح الحجج على امور الدين
فانهم جمعوا بين الجهل وسوء الادب اما الجهل فلكونهم ما عرفوا موضع الدلالة فيما نصبه الحق

ولذا

دليلا واما سوء الادب فمعارضتهم له سبحانه بما دخلوا فيه فيما يزعمونه دليلا فجعلوا انظارهم
في الدين اتم في الدلالة مما دل عليه الحق تع عن ذلك افانزل الله دينا ناقصا فاستعان بهم على
اتمامه ام انزل الله دينا تاما فقصر الرسول عن تبليغه وادائه والله سبحانه يقول ما فرطنا
في الكتاب من شيء فيه تبيان كل شيء قال امير المؤمنين عم القران ظاهره انيق وباطنه
عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تنكشف الظلمات الا به لما ثبت ان
تفسيرها الى الله سبحانه ونبينا صلى الله عليه واله وقد ثبت انه ترك من بعده الثقلين
كتاب الله وعترته المصطفين وما اوصى امته في ذلك الا بالتمسك بهما كما استفاض
به الاخبار من طريقي العامة والخاصة جميعا على الاختلاف في اللفظ والاتفاق في المعنى
ففي رواية اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي اهل
بيتي فانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ومعنى عدم افتراقهما ان علم الكتاب
كله عند العترة فمن تمسك بهم فقد تمسك بهما جميعا وفي رواية اني ~~تارك فيكم ما ان~~
امرء مقبوض واوشك ان ادعى فاجيب وقد تركت فيكم الثقلين وفي اخرى الاكبر
منهما كتاب الله سبب طرف بيد الله وطرف بايديكم فتمسكوا به لا تزلوا ولا
تضلوا والاصغر منهما عترتي لا تقتلوهم ولا تقهروهم فاني سألت اللطيف الخبير
ان يردا على الحوض فاعطاني فقاهرهما قاهري وخاذلهما خاذلي ووليهما وليي
وعدوهما عدوي وفي رواية وهما الخليفتان بعدي وسئل امير المؤمنين عم عن
معنى الحديث من العترة فقال انا والحسن والحسين والتسعة من ولد الحسين تاسعهم
مهديهم وقائمهم لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتى يردا على رسول الله
حوضه وفي رواية من جعلهما امامه قاداه الى الجنة ومن جعلهما خلفه قاداه الى النار
وفي الخبر المستفيض ان مثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف
عنها غرق وفي الكافي عن الباقر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله
انا اول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابه واهل بيتي ثم امتي ثم اسألهم
ما فعلتم بكتاب الله واهل بيتي وعن الصادق عن ابائه قال قال رسول الله صلعم
ايها الناس انكم في دار هدنة وانتم على ظهر سفر والسير بكم سريع وقد رأيتم الليل
والنهار والشمس والقمر يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد وياتيان بكل موعود فاعدوا
الجهاز لبعد المجاز قال فقام مقداد بن الاسود فقال يا رسول الله وما دار الهدنة فقال

دار بلاغ وانقطاع فاذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقران فانه شافع
مشفع وماحل مصدق من جعله امامه قاده الى الجنة ومن جعله خلفه ساقه الى النار و
هو الدليل يدل على خير سبيل وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل وهو الفصل ليس
بالهزل وله ظهر وبطن فظاهره حكم وباطنه علم ظاهره انيق وباطنه عميق له تخوم
وعلى تخومه تخوم لا تحصى عجايبه ولا تبلى غرايبه فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة
ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة فليجل جال بصره وليبلغ الصفة نظره ينج من عطب
ويتخلص من نشب فان التفكر حيوة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور فعليكم
بحسن التخلص وقلة التربص وعنه عم قال قال رسول الله صلى الله عليه واله القران
هدى من الضلالة وتبيان من العمى واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من
الاحداث وعصمة من الهلكة ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا الى الآخرة
وفيه كمال دينكم وما عدل احد عن القران الا الى النار وعن الايمة المعصومين عليهم السلام
من لم يعرف امرنا من القران لم يتنكب الفتن وعنهم عليهم السلام من اخذ دينه من كتاب الله
وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه زالت الجبال قبل ان يزول ومن اخذ دينه من
افواه الرجال ردته الرجال قال محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله بعد نقل هذا الحديث ولهذه
العلة انبثقت على اهل دهرنا بثوق هذه الاديان الفاسدة والمذاهب المستشنعة
التي قد استوفت شرايط الكفر والشرك كلها وذلك بتوفيق الله عز وجل وخذلانه فمن
اراد الله توفيقه وان يكون ايمانه ثابتا مستقرا سبب له الاسباب التي تؤديه الى ان يأخذ
دينه من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه واله بعلم ويقين وبصيرة فذاك اثبت
في دينه من الجبال الرواسي ومن اراد الله خذلانه وان يكون دينه معارا مستودعا
نعوذ بالله منه سبب له اسباب الاستحسان والتقليد والتاويل من غير علم وبصيرة
فذاك في المشية ان شاء الله تبارك وتعالى اتم ايمانه وان شاء سلبه اياه
ولا يؤمن عليه ان يصبح مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا لانه
كلما راى كبيرا من الكبراء مال معه وكلما راى شيئا استحسن ظاهره
قال العالم عليه السلام ان الله تعالى خلق النبيين على النبوة فلا يكونون الا انبياء
وخلق الاوصياء على الوصية فلا يكونون الا اوصياء واعار قوما ايمانا فان شاء تممه
لهم وان شاء سلبهم اياه قال وفيهم جرى قوله فمستقر ومستودع وعن جابر بن عبد الله الانصاري

قال

قال لما انزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وآله يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم قلت يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن اولوا الامر الذين قرن الله
طاعتهم بطاعتك فقال صلى الله عليه وآله هم خلفائي يا جابر وائمة المسلمين بعدي اولهم علي بن
ابي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم علي ابن الحسين ثم محمد ابن علي المعروف في التورية بالباقر وستدركه
يا جابر فاذا لقيته فاقرءه مني السلام ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد
ابن علي ثم علي ابن محمد ثم الحسن بن علي ثم سميي وكنيي حجة الله في ارضه وبقيته في عباده ابن
الحسن ابن علي ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الارض ومغاربها ذاك الذي
يغيب عن شيعته واوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بامامته الا من امتحن الله قلبه للايمان
قال جابر فقلت له يا رسول الله فهل ينتفع شيعته به في غيبته فقال اي والذي بعثني بالنبوة
ليستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وان تجللها سحاب
يا جابر هذا من مكنون سر الله ومخزون علم الله فاكتمه الا عن اهله اعلم ان الناس
في فهم العقايد وقبولها على طبقات ومنازل بعضها فوق بعض ليسوا في حيز واحد و
انما كلف الله عباده بقدر ما اعطاهم من العقل والفهم والوسع قال الباقر عليه السلام ان المؤمنين
على منازل منهم على واحدة ومنهم على اثنتين ومنهم على ثلث ومنهم على اربع ومنهم على خمس
ومنهم على ست ومنهم على سبع فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحدة ثنتين لم يقو وعلى
صاحب الثنتين ثلثا لم يقو وساق الحديث وقال الصادق عليه السلام الايمان حالات
ودرجات وطبقات ومنازل فمنه التام المنتهي تمامه ومنه الناقص البين نقصانه و
منه الراجح الزايد رجحانه وقال ايضا لو علم الناس كيف خلق الله هذا الخلق لم يلم احد احدا
فينبغي ان يقدم الى الصبي في اول نشوه تلقين ترجمة العقايد ليحفظها حفظا ثم لا يزال
ينكشف معناه في كبره شيئا فشيئا فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد
والايقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان من فضل
الله على قلب الانسان شرحه في اول نشوه للايمان من غير حاجة الى
حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقايد العوام مباديها
التلقين المجرد والتعليم المحض ثم يكون الاعتقاد التقليد
غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى انه يقبل الازالة بنقيضه
لو القي اليه ولا بد من تقويته واثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ به ولا يتزلزل

وليس الطريق في تقويته واثباته ان يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القران
وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظايف العبادات فلا يزال
يقوي اعتقاده ويزداد رسوخا بما يقرع سمعه من ادلة القران وحججه
وبما يرد عليه من شواهد الاحاديث وفوايدها وبما يسطع عليه من انوار
العبادات ووظايفها وما يسري اليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وروية
سيماهم وسيرتهم وهيئاتهم في الخضوع لله والخوف منه والاستكانة له فيكون
اول التلقين كالقاء بذر في الصدر ويكون هذه الاسباب كالسقي والتربية
له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة اصلها ثابت وفرعها
في السماء وينبغي ان يحرس سمعه في الجدل والكلام غاية الحراسة فان ما يشوشه الجدل
اكثر مما يمهده وما يفسده اكثر مما يصلحه والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا وناهيك
بالعيان برهانا فقس عقيدة اهل الصلاح والتقى من اعوام الناس بعقيدة
المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه
الدواهي والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط
مرسل في الهواء تفيئه الريح مرة هكذا ومرة هكذا الا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه
تقليدا كما تلقف نفس الاعتقاد تقليدا ولا فرق بين التقليد بين تعلم الدليل او تعلم المدلول فتلقن الدليل شي والا
ستدلال بالنظر شي اخر بعيد عنه ثم الصبي اذا وقع نشوه على هذه العقايد ان
اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه سلم في الاخرة باعتقاد الحق اذ لم يكلف
الشرع العرب اكثر من التصديق الجزم بظاهر هذه العقايد فاما البحث والتفتيش
وتكلف نظم الادلة فلم يكلفوا اصلا وان اراد ان يكون من سالكي طريق الاخرة
وكان اهلا لذلك وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهي
النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتح له ابواب من الهداية
وتكشف عن حقايق هذه العقيدة بنور الهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة
تحقيقا لوعده تعالى اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو الجوهر
النفيس الذي هو غاية مقصد الصديقين والمقربين وله درجات بحسب درجات المجاهدة
ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله وفي الاستضاءة بنور اليقين
وذلك كتفاوت الخلق في اسرار الطب والفقه وسائر العلوم اذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد

واختلاف

واختلاف الفطر في الذكاء والفطنة فكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذا هذه واما تفصيل متعلقات العقايد الخواص وكيفيه المجاهدة لهم فقد اشرنا اليهما في الفصل الثاني من الباب الاول

قال محقق الفرقة الناجية نصير الحق والدين محمد ابن الحسن الطوسي طاب ثراه اقل ما يجب اعتقاده على المكلف هو ما ترجمه قول لا اله الا الله محمد رسول الله ثم اذا صدق الرسول فينبغي ان يصدقه في صفات الله واليوم الاخر وتعيين الامام المعصوم كل ذلك بما يشتمل عليه القران من غير مزيد وبرهان اما في صفات الله ~~واليوم الاخر~~ فبانه حي قادر عالم مريد متكلم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير واما في الاخرة فبالايمان بالجنة والنار والصراط والميزان والحساب والشفاعة وغيرها ولا يجب عليه ان يبحث عن حقيقة الصفات وان الكلام والعلم وغيرهما حادث او قديم بل لو لم يخطر هذه بباله ومات مات مؤمنا فان غلب على قلبه شك او اشكال فان امكن ازالته بكلام قريب من الافهام وان لم يكن قويا عند المتكلمين ولا مرضيا فذلك كاف ولا حاجة الى تحقيق الدليل فان الدليل لا يتم الا بذكر الشبهة والجواب ومهما ذكرت الشبهة لا يؤمن ان يتشبث بالخاطر والقلب فيظنها حقة لقصوره عن ادراك جوابها اذ الشبهة قد تكون جلية والجواب دقيقا لا يحمله عقله ولهذا ورد النهي عن البحث والتفتيش والكلام وانما زجر واضعفاء العوام واما ائمة الدين فلهم الخوض في غمرة الاشكالات ومنع العوام عن الكلام يجري مجرى منع الصبيان عن شاطئ الدجلة خوفا من الغرق ورخصة الاقوياء فيه تضاهي رخصة الماهر في صنعة السباحة الا ان ههنا موضع غرور ومزلة قدم وهو ان كل ضعيف في عقله يظن انه يقدر على ادراك الحقايق كلها وانه من جملة الاقوياء فربما يخوضون ويغرقون في بحر الجهالات من حيث لا يشعرون والصواب منع الخلق كلهم الا الشاذ النادر الذي لا تسمح الاعصار الا بواحد منهم او اثنين من تجاوز سلوك اهل العلم في الايمان المرسل والتصديق المجمل بكل ما انزله الله واخبر به رسول الله صلى الله عليه واله حيث راى اصحابه يخوضون بعد ان غضب حتى احمرت وجنتاه ابهذا امرتم تضربون كتاب الله بعضه ببعض انظروا ما امركم الله به فافعلوا وما نهاكم عنه فانتهوا فهذا تنبيه على منهج الحق وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام اتق الله وكن حيث شئت ومن اي قوم شئت فانه لا خلاف لاحد في التقوى والمتقي محبوب عند كل فريق وفيه جماع كل خير ورشد الى ان قال فالزم ما اجمع عليه اهل الصفا والتقى من اصول الدين وحقايق اليقين والرضا والتسليم

فمن اشتغل في الح[...] فيه فقد اودع [...] في شغل شاغل [...] رسول الله صلى [...]

ولا تدخل في اختلاف الخلق ومقالاتهم فيصعب عليك وقد اجمعت الامة المختارة بان
الله واحد ليس كمثله شيء وانه عدل في حكمه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يقال له
في شيء من صنعه لم ولا كان ولا يكون شيء الا بمشيته وانه قادر على ما يشاء وصادق
في وعده ووعيده وان القران كلامه وانه كان قبل الكون والمكان والزمان وان احداثه
وافناءه بغيره سواء لا يزداد باحداثه علما ولا ينقص بفنائه ملكه عن سلطانه وجل سبحانه
فمن اورد عليك ما ينقض هذا الاصل فلا تقبله وجرد باطنك لذلك ترى بركاته وتفوز مع
الفائزين اعلم ان الاسرار التي يكتمها العلماء عن العوام منها ما يقصر عن
ادراكه افهامهم ولا يبلغ اليه عقولهم وذلك كالروح فانه من عالم الملكوت والعوام
لم يتجاوز علمهم عن عالم الملك فاذا افشوه اليهم يصير فتنة لهم قال الله تعالى ويسئلونك عن
الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا ومنها ما هو مفهوم في نفسه لا
يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين وسر القدر من هذا القبيل ولهذا منع من افشائه
فلا استبعاد في ان يكون ذكر بعض الحقايق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بابصار الخفافيش
وكما يضر ريح الورد بالجعل ومنها ما يكون بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى
عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه في قلب المستمع اغلب وله مصلحة في ان يعظم وقع ذلك
الامر في قلبه كما قال قائل رايت فلانا يقلد الدر في اعناق الخنازير وكنى به عن افشاء العلم و
بث الحكمة الى غير اهلها فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهره والمحقق اذا نظر وعلم ان ذلك
الانسان لم يكن معه در ولا كان في موضعه خنزير تفطن لدرك السر والباطن
فيتفاوت الناس بذلك وكذلك ما ورد في الحديث اما يخشى الذي يرفع راسه قبل
الامام ان يحول الله راسه راس حمار وذلك من حيث الصورة لم يكن ولا يكون ولكن من
حيث المعنى هو كائن اذ حقيقة الحمار في معنى وخاصيته هي البلادة والحمق ومن رفع راسه
قبل الامام فقد صار راسه راس حمار في معنى البلادة والحمق وهو المقصود دون الشكل الذي هو قالب
المعنى اذ من غاية الحمق ان يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما يتناقضان وهذا النوع يرجع الى
التعبير عن المعنى بالصورة التي تتضمن عين المعنى او مثله ومن هذا القبيل قوله تعالى فقال لها وللارض
ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فانه تمثيل لتاثير قدرته فيهما وتاثيرهما بالذات عنها بامر المطاع
واجابة المطيع للطايع ومنه قوله عز وجل انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو نوع من الكلام
باطنا من دون حرف وصوت ومنه التعبير عن الصراط بالجسر الممدود بين الجنة والنار وعن الميزان بذي الكفتين

وتعبير

او غير ذلك ومنها مثل ما يدرك الانسان الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق
بان يصير حالا مسلا بساله فيتفاوت العلمان فيكون الاول كالقشر والثاني كاللب و
الاول كالظاهر والاخر كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان في عينه شخص في الظلمة او على البعد
فيحصل له نوع علم فاذا راه بالقرب او بعد زوال الظلام ادرك تفرقة بينهما ولا يكون الا
خيره الاول بل هو استكماله فكذلك في العلم والايمان والتصديق ومن هذا القبيل
اكثر العقايد في تفسير الامام ابي محمد العسكري عليه السلام في قوله تعا ومنهم اميون
لا يعلمون الكتاب الا اماني قال رجل للصادق عليه السلام اذا كان هؤلاء القوم من اليهود لا يعرفون
الكتاب الا بما يسمعونه من علمائهم لا سبيل لهم الى غيره فكيف ذمهم الله بتقليدهم والقبول من
علمائهم وهل عوام اليهود الا كعوامنا يقلدون علمائهم فان لم يجز لاولئك القبول من علمائهم
فقال عليه السلام بين عوامنا وعلمائنا وبين عوام اليهود وعلمائهم فرق من جهة وتسوية من جهة
فاما من حيث استووا فان الله قد ذم عوامنا بتقليدهم علماءهم كما ذم عوامهم واما من حيث
افترقوا فلا قال بين لي يا ابن رسول الله قال عليه السلام ان عوام اليهود كانوا قد عرفوا علما
ءهم بالكذب الصراح وباكل الحرام والرشى وبتغيير الاحكام عن واجبها بالشفاعات
والعنايات والمصانعات وعرفوهم بالتعصب الشديد الذي يفارقون به اديانهم
وانهم اذا تعصبوا ازالوا حقوق من تعصبوا عليه واعطوا ما لا يستحقه من تعصبوا له
من اموال غيرهم وظلموهم من اجلهم وعرفوهم يقارفون المحرمات واضطروا بمعارف
قلوبهم الى ان من فعل ما يفعلونه فهو فاسق ولا يجوز ان يصدق على الله ولا على الوسائط
بين الخلق وبين الله فلذلك ذمهم لما قلدوا من قد عرفوا ومن قد علموا انه لا يجوز
قبول خبره ولا تصديقه في حكاياته ولا العمل بما يؤديه اليهم عمن لا يشاهدونه
ووجب عليهم النظر بانفسهم في امر رسول الله صلعم اذ كانت دلايله اوضح
من ان يخفى واشهر من ان لا يظهر لهم وكذلك عوام امتنا اذا عرفوا من
فقهائهم الفسق الظاهر والعصبية الشديدة والتكالب على حطام الدنيا
وحرامها واهلاك من يتعصبون عليه وان كان لاصلاح امره مستحقا بالترفق
بالبر والاحسان على من تعصبوا له وان كان للاذلال والاهانة مستحقا فمن قلد
من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمهم الله بالتقليد لفسقة فقهائهم
فاما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدينه مخالفا على هواه مطيعا لامر مولاه فللعوام ان يقلدوه

لم يجز لهولاء القبول من علمائهم

الترفرف [illegible]

وذلك لا يكون الا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم فان من ركب من القبائح والفواحش كبائر
فسقة فقهاء العامة فلا يقبلوا منهم عنا شيئا ولا كرامة

ونعني بها الجوهر اللطيف الملكوتي الذي يستخدم هذا البدن الجسماني في حاجاته
سبحانه المستخير المولى لخدمه وهو ذات الانسان وحقيقته العالمة بالمعلومات وله
في هذا البدن جنود جسمانية هي الاعضاء وجنود روحانية هي القوى قال الله
تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقال نبينا صلى الله عليه واله من عرف نفسه فقد
عرف ربه وقال اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه وقد تسمى هذا الجوهر الملكوتي بالروح لتوقف
حياة البدن عليه وبالقلب لتقلبه في الخواطر وبالعقل لاكتسابه المعلوم وابصاره
بالمدركات وقد يستعمل هذه الالفاظ الاربعة في معان اخر تعرف بالقراين ثم النفس
توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الاوامر والنواهي
وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى
يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت
مدافعة للشهوة والغضب ومعترضة عليهما سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها
عند تقصيره في عبادة مولاها قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض
واذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت الامارة بالسوء قال
الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم
ربي اعلم ان جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينانه
على طريقه الذي يسلكه ويحسنان مرافقته في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان
عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه وفي ذلك هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله
الى السعادة الابدية وللقلب جند اخر وهو العلم والحكمة والتفكر وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله
على الجندين الاخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند
الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حال اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة
لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان يكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما
يفتقر العقل اليه ثم اعلم ان الانسان قد اصطحب في تركيبه وخلقته اربع شوائب فلذلك
اجتمعت عليه اربعة انواع من الاوصاف وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية
والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى افعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على

الناس

الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهائم في الشره
والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه في نفسه امر رباني كما قال الله تعالى قل الروح من امر ربي
فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصيص والاستبداد بالامور كلها
والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها
بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقايق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن
اذا قرن بالجهل والاحاطة بجميع الحقايق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلايق من اوصاف الربوبية وفي
الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص عن البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة
حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الحيل والشر ويتوصل
الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان
فيه شوب من هذه الاصول الاربعة اعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل
ذلك مجموع في القلب وكان المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب
فان السبع الضاري او الكلب العقور ليس كلبا ولا سبعا باعتبار الصورة واللون والشكل
بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه
وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب الى
الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري احدهما بالآخر
ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مامور بان يدفع كيد الشيطان
ومكره بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وان يكسر شره
هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب
بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه
اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم
وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل
وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائما في عبادة
كلب او خنزير وهذا حال اكثر الناس مهما كان اكثر همهم البطن
والفرج ومنافسة الاعداء ... اما طاعة خنزير الشهوة
فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير
والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد

وغيرهما واما طاعة الكلب الغضب فينتشر منها الى القلب صفة التهور والنذالة والبذخ
والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والتحقير والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة
الشر وشهوة الظلم وغيرها واما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر
والخداع والحيلة والدهاء والجربزة والتلبيس والغش والخب والخناء وامثالها ولو عكس
الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة
واليقين والاحاطة بحقايق الاشياء ومعرفة الامور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل
بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق بكمال العلم وجلالته ولاستغنى عن عبادة
الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط خنزير الشهوة ورده الى حد الاعتدال صفات شريفة
مثل العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة
والحياء والظرف والمساعدة وامثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها
الى الحد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال و
العفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها والقلب في حكم مرآة قد اكتنفته
هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الاثار على التوالي واصلة الى القلب اما الاثار المحمودة التي
ذكرناها فانها تزيد مرآة القلب جلاء واشراقا ونورا وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق
وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله صلى الله عليه
واله وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه وبقوله صلى الله عليه واله وسلم من
كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله
تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب واما الاثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى
مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا
عن الله تعالى وهو الطبع والرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
قال الله ان لو نشاء لاصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون
فربط عدم السماع والطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى حيث قال واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله صح
واطيعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند
ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين بالاخرة ويستعظم
امر الدنيا ويصير محصور (مقصور) الهم عليها فاذا قرع سمعه امر الاخرة وما فيها من الا
خطار دخل من اذن وخرج من الاخرى ولم يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك

اولاد

اولئك الذين يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور هذا هو معنى اسوداد
القلب بالذنوب كما نطق به القران والسنة قال امير المؤمنين عليه السلام ان الايمان
ليبدو لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات نما وزاد حتى يبيض القلب كله وان النفاق
ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمات زادت حتى يسود القلب كله فيطبع على قلبه
فذلك الختم وتلا كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال الباقر عليه السلام ان القلوب
ثلاثة قلب منكوس لا يعي شيئا من الخير وهو قلب الكافر وقلب فيه نكتة سوداء والخير
والشر فيه يعتلجان فايهما كانت منه غلب عليه وقلب مفتوح فيه مصابيح تزهر لا يطفى
نوره الى يوم القيمة وهو قلب المؤمن وقال الصادق عليه السلام ان القلب ليكون في الساعة
من الليل والنهار ليس فيه ايمان ولا كفر كالثوب الخلق ثم قال اما تجد ذلك من نفسك
قال ثم تكون النكتة من الله في القلب بما شاء من كفر وايمان ان القلب مثاله مثال
قبة لها ابواب تنصب اليها الاحوال من كل باب او مثال هدف تنصب اليه السهام من
الجوانب او مثال مرآة منصوبة يجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فيترائى فيها صورة بعد صورة
او مثال حوض ينصب اليه مياه مختلفة من انهار مفتوحة اليه ومداخل هذه الاثار المتجددة
فيه في كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب
والاخلاق المركبة في مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منه اثر في القلب وكذلك اذا
هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل او بقوة المزاج والاثار تبقى وتنتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسب
انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال فالقلب دائما في التغير والتاثر من هذه الاسباب
واخص الاثار الحاصلة فيه الخواطر واعني بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار اما على سبيل
التجدد واما على سبيل التذكر والخواطر هي المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة
انما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة فمبدء الافعال الخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى
الشر اعني ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني ما ينفع في الاخرة فهما خاطران مختلفان فالخاطر
المحمود يسمى الهاما والمذموم يسمى وسوسة وسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الداعي
الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي به يتهيأ القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا والذي به يتهيأ لقبول
وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا والملك عبارة عن خلق خلقه الله لافاضة الخير وافادة العلم
وكشف الحق والوعد بالمعروف والشيطان عبارة عن خلق شانه الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف
عند الهم بالخير بالفقر والقلب متجاذب بينهما قال النبي صلى الله عليه وآله في القلب لمتان لمة من

ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة صح

ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ولمة من العدو
ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير ومن وجد ذلك فليتعوذ من الشيطان ثم
تلا الشيطان يعدكم الفقر الاية وقال صلى الله عليه وآله قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع
الرحمن يقلبه كيف يشاء وكنى به عن سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير باستعمال
الملك والشيطان فانهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب كما ان اصابعك مسخرة لك في
تقليب الاجسام مثلا والقلب باصل الفطرة صالح لقبول آثار الملائكة ولقبول آثار الشياطين
قبولا متساويا وانما يترجح احدهما على الآخر باتباع الهوى والاكباب على الشهوات
ومخالفتها فمهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا
فوسوس ومهما انصرف الى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك
والهمه فالتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم الى ان ينفتح القلب
لاحدهما فيسكن ولا يستوحش ويكون اجتياز الثاني اختلاسا قال الله تعالى ان الذين
اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون اعلم انه قد يلتبس
لمة الشيطان بلمة الملك فان من مكايد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير كما يقول للعالم
بطريق الوعظ اما تنظر الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار
اما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم الله
عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمته وتتعرض لسخطه
وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة خلق الله سبحانه الى الصراط المستقيم فلا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجره
بلطائف الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار
الخير ويقول ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك عن قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق فلا يزال يقرر ذلك وهو في اثناء
يؤكد شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج
المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك
بسببه وهو يظن انه عند الله بمكان وهو عند الله ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله
ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر قال بعض
اهل المعرفة ان الهام الملك ووسوسة تقع في النفوس على وجوه وعلامات احدها كالعلم واليقين
الحاصلين من جانب يمين النفس ويقابله الهوى والشهوة الحاصلين من جانب الشمال
وثانيها كالنظر الى آيات الآفاق والانفس على سبيل النظام والاحكام المزيل للشكوك والاوهام وتحصل

للمعرفة والحكمة فى القوّة العاقلة التى هى على جانب الايمن من النفس ويقابلها النظر اليها على سبيل الاشتباه والغفلة والاعراض عنها الناشية منها الشبه والوسواس فى الواهمة والمتخيلة التى على الجانب الايسر منها فان الايات المحكمات بمنزلة الملائكة المقدسة من العقول والنفوس الكلية لانّها مبادى العلوم اليقينية والمتشابهات الوهمانيّة بمنزلة الشياطين والنفوس الوهمانية لانّها مبادى المقدمات السفسطية وثالثها كطاعة الرّسول المختار والائمة الاطهار فى مقابلة اهل الجحود والانكار و اهل التعطيل والتشبيه من الكفار فكل من سلك سبيل الهداية فهو بمنزلة الملائكة الملهمين للخير ومن سلك سبيل الضّلال فهو بمنزلة الشياطين المغوين بالشرّ و رابعها كتحصيل العلوم والادراكات التى هى فى الموضوعات العالية والاعيان الشريفة كالايمان بالله وملائكته ورسله واليوم الاخر والبعث وقيام الساعة ومثول الخلايق بين يدى الله وحضور الملائكة والنبيين والشهداء والصّالحين فى مقابلة تحصيل العلوم والادراكات التى هى من باب الحيل والخديعة والسفسطة والتامّل فى الامور الدنياوية الغير الخارجة عن دار المحسوسات فان الاول يشبه الملائكة الروحانية وجنود الرحمن الذين هم سكان عالم الملكوت السماوى والثانى يشبه الابالسة المطرودة عن باب الله الممنوعة من ولوج السموات المحبوسة فى الظلمات المحرومة فى الدنيا عن الارتقاء والمحجوبة فى الاخرة عن دار النعيم

اعلم ان ما يخطر بالبال من السّيئة بالبال فلا مواخذة عليه لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل والهيجان لانّهما ايضا لا يدخلان تحت الاختيار واما الاعتقاد وحكم القلب بانّه ينبغى ان يفعل فهذا مردد بين ان يكون اضطرارا او اختيارا والاحوال تختلف فيه فالاختيارى منه يؤاخذ به والاضطرارى لا يؤاخذ به واما الهمّ بالفعل فانه يؤاخذ به الا انه ان لم يفعل فان تركه خوفا من الله تعالى وندم على همّه كتبت له حسنة لانّ همّه سيّئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهمّ على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده فى مخالفة الطبع وهو العمل لله سبحانه اشدّ من جده فى موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتبت له حسنة لانه يرجح جهده فى الامتناع وهمّه به على همّه بالفعل وان تعوّق الفعل العائق او تركه لعذر لا خوفا من الله تعالى كتبت له عليه سيئه فانه همّه فعل من القلب اختيارى

والدليل على هذا التفصيل ما ورد عن النبي ص قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد
ان يعمل سيئة وهو ابصر فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوه عليه بمثلها وان تركها فاكتبوه
له حسنة انما تركها لاجلي وعن امير المومنين عليه السلم في قوله سبحانه ان تبدوا
ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله ان هذه الاية عرضت على الانبياء والامم
السابقة فابوا ان يقبلوها من ثقلها وقبلها رسول الله صلى الله عليه واله و
عرضها على امته فقبلوها فلما راى الله عز وجل منهم القبول على انهم لا يطيقونها
قال اما اذا قبلت الاية بتشديدها وعلم ما فيها وقد عرضتها على الامم فابوا ان يقبلوها
وقبلتها امتك فحق علي ان ارفعها عن امتك وقال لا يكلف الله نفسا الا
وسعها فظهر ان ما لا يدخل تحت الوسع لا يؤاخذ به وعن النبي صلى الله عليه واله
وضع عن امتي تسع خصال الخطا والنسيان وما لا يعلمون وما لا يطيقون و
ما اضطروا اليه وما استكرهوا عليه والطيرة والوسوسة في التفكر في الخلق
والحسد ما لم يظهر بلسان اويد وعن الباقر عليه السلام ان الله تع جعل لادم
في ذريته من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة وعملها كتبت
له عشرا ومن هم بسيئة ولم يعملها لم يكتب عليه ومن عمل بها كتبت له سيئة وفي
رواية ان العبد اذا اذنب ذنبا اجل من غدوة الى الليل فان استغفر الله لم يكتب عليه
وسئل الصادق عليه السلام عن رجل يجيئ منه الشئ على حد الغضب يؤاخذه الله
تعالى به فقال الله اكرم من ان يستغلق على عبده وعنه عليه السلم ما من مومن الا
وله ذنب يهجره زمانا ثم يلم به وذلك قوله تع الا اللمم قال واللمم الرجل يلم بالذنب
فيستغفر الله منه وعن الكاظم عليه السلم ان الله ايد المومن بروح تحضره في كل وقت
يحسن فيه ويتقي وتغيب عنه في كل وقت يذنب فيه ويعتدي فهي معه تهتز
سرورا عند احسانه وتسيخ في الثرى عند اساءته فتعاهدوا عباد الله نعمه
باصلاحكم انفسكم تزدادوا يقينا وتربحوا نفيسا ثمينا رحم الله امرءا هم بخير
فعمله او هم بشر فارتدع عنه ثم قال نحن نؤيد الروح بالطاعة لله والعمل له

في مساوي الاخلاق وتهذيبها وفيه اربعة ابواب

في معنى الخلق وتهذيبه اعلم ان الخلق عبارة عن هيئة راسخة في النفس يصدر

عنها

عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث
يصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان
الصادر منها افعال قبيحة سميت خلقا سيّئا وانما شرطنا الرسوخ لان من يصدر
عنه بذل المال مثلا على الندور لحاجة عارضة لايقال خلقه السخاء مالم يثبت
ذلك فى نفسه ثبوت رسوخ وانما شرطنا السهولة وعدم الروية لان من تكلف بذل
المال لايقال خلقه السخاء وليس عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولايبذل
اما لفقد المال او لمانع اخر وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث او رياء
فلابد فى الخلق الحسن من قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل
بين هذه القوى الثلث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها فى ان تصير بحيث يسهل
لها درك الفرق بين الصدق والكذب فى الاقوال وبين الحق والباطل فى الاعتقادات
وبين الجميل والقبيح فى الافعال فاذا تحصلت هذه القوة حصل منها ثمر الحكمة
والحكمة راس الاخلاق الحسنة ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا واما قوة
الغضب والشهوة فحسنها فى ان تقتصر انقباضها وانبساطها على حد مايقتضيه
الحكمة والدين واما قوة العدل فهى ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة
العقل والشرع فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير وقوته القدرة ومنزلتها
منزلة المنفذ المضى لاشارته والغضب والشهوة تنفذ فيهما الاشارة ومثال
الغضب مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه
بحسب الاشارة لابحسب هيجان النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذى يركب فى طلب
الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة تكون جموحا فمن استقرت فيه هذه
الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون بعض
فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة وحسن القوة الغضبية
واعتدالها يعبر عنها بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة
فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة سمى ذلك تهورا وان
مالت الى الضعف سمى جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة
سمى شرها وان مالت الى النقصان سمى خمودا والمحمود هو الوسط وهو العدل

والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات فليس له طرفان زيادة و
نقصان بل له ضد واحد وهو الجور واما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال
في الاغراض الفاسدة خبا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص
باسم الحكمة فاذن امهات الاخلاق الحسنة الجميلة واصولها اربعة الحكمة و
الشجاعة والعفة والعدل ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربعة الا رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا قال الله تع مثنيا عليه وانك لعلى خلق عظيم والناس
بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فينبغي ان يقتدى به فانه قال بعثت لاتمم
مكارم الاخلاق وقد اشار القران الى هذه الاوصاف المومنين فقال تعالى انما المومنون
خلاق في ا
الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله
اولئك هم الصادقون فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو
ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة
والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل و
حد الاعتدال وقد وصف الله سبحانه قوما فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم اشارة
الى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل
حال اعلم ان بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة و
الاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق ولم تسمح نفسه بان يكون ذلك
لقصوره ونقصه فزعم ان الاخلاق لا يمكن تغيرها وان الطباع لا تتغير واستدل
عليه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن والثاني ان حسن الخلق انما
يحصل بقمع الغضب والشهوة وحب الدنيا وغيرها وهذا امر ممتنع والاشتغال به
تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ
العاجلة وهو محال فيقول لو كان الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا و
المواعظ والتاديبات ولما قال الله تعالى قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها ولما قال
رسول الله صلعم حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الادمي وتغيير خلق البهيمة
ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش الى الانس والكلب من شره الاكل من الصيد الى
التادب والامساك والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغيير للاخلاق

والقول

والقول الكاشف للغطاء عن ذلك ان نقول ان الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل
للآدمي واختياره في اصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل اعضاء البدن وداخلا
وخارجا وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد
وجودا ناقصا وجعل فيه قوة الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار
العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انما خلقت خلقة يمكن ان يصير نخلا
ان انضاف اليه التربية ولا يصير تفاحا اصلا ولا بالتربية فاذا صارت النواة
متاثرة بالاختيار حتى يقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة
لو اردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليه اصلا ولو اردنا
اسلاسهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد امرنا بذلك وصار ذلك سبب
نجاتنا ووصولنا الى الله وليس المطلوب الا ذلك دون القمع بالكلية وهيهات
فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة ولو انقطع شهوة الطعام لهلك
الانسان ولو انقطع شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم
يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ومهما بقي اصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال
الذي يوصل الى الشهوة حتى يحملك ذلك على امساك المال وليس المطلوب اماطة
ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط و
التفريط فالمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو عن التهور وعن
الجبن جميعا وبالجملة ان يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولو بطل
الغضب لامتنع جهاد الكفار وكيف يقصد قلع الغضب والشهوة بالكلية والانبياء
عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك قال سيدهم صلى الله عليه وآله انما انا بشر اغضب كما
يغضب البشر وكان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى يحمر وجنتاه ولكن
لا يقول الا حقا فكان الغضب لا يخرجه عن الحق قال الله تعالى والكاظمين
الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ وربما يستولي الشهوة على الانسان بحيث لا
يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة تعود الى الاعتدال
فدل على ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا يشك فيها
قد يكون اعتدال القوتين فطريا بحيث يخلق الانسان وينشأ كامل العقل

حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب على عقله كالانبياء والائمة عليهم السلام
وقد يكون مكتسبا بالمجاهدة والرياضة بحمل النفس على الاعمال التى يقتضيها الخلق
المطلوب فمن اراد ان يحصل لنفسه خلق الجود مثلا فطريقه ان يتعاطى فعل الجواد وهو
بذل المال فلا يزال يواظب عليه تكلفا مجاهدا لنفسه فيه حتى يصير ذلك له طبعا و
يتيسر عليه فيصير بنفسه جوادا ومن اراد خلق التواضع وغلب عليه التكبر فطريقه
ان يواظب على افعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد بنفسه ويتكلف
الى ان يصير ذلك خلقا وطبعا وجميع الاخلاق المحمودة شرعا يحصل بهذا الطريق
وغايتها ان يصير فعل الصادر عنه لذيذا فالسخى هو الذى يستلذ بذل المال دون
الذى يبذله عن كراهيته والمتواضع هو الذى يستلذ التواضع ولن ترسخ
الاخلاق الدينية فى النفس ما لم يتعود جميع العادات الحسنة ولم يترك جميع العادات
السيئة وما لم يواظب عليها مواظبة من يشتاق معها الى الافعال الجميلة ويتنعم
بها ويكره الافعال القبيحة ويتألم بها كما قال رسول الله صلعم جعلت قرة عينى
فى الصلوة ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهية واستثقال فهو
لنقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليه بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة
الى تركه لا بالاضافة الى فعله عن طوع ولذلك قال الله تعا وانها لكبيرة الا على الخاشعين
وقال النبى صلى الله عليه وآله اعبد الله فى الرضا فان لم تستطع ففى الصبر على ما يكره خير كثير
ثم لا يكفى فى نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية
فى زمان دون زمان بل ينبغى ان يكون كذلك على الدوام وفى جملة العمر وكلما كان
العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ واكمل ولذلك لما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله
عن السعادة فقال طول العمر فى طاعة الله ولذلك كره الانبياء والاولياء الموت
فان الدنيا مزرعة الاخرة وكلما كانت العبادات اكثر لطول العمر كان الثواب اجزل و
النفس ازكى واطهر والاخلاق اقوى وارسخ وانما مقصود العبادات تاثيرها فى
القلب وانما يتاكد اثارها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الاخلاق
ان ينقلع عن النفس حب الدنيا ويترسخ فيها حب الله تعا فلا شئ احب اليه
من الله تع ومن لقائه وكل صفة تظهر فى القلب يفيض اثرها على الجوارح حتى

تحرك

يتحرك لامحالة على وفقهما وكل فعل يجرى على الجوارح فانه يرتفع منه اثر الى القلب
ولطالب تزكية النفس لايناله بعبادة يوم ولا يحرمها بعصيان يوم ولكن العطلة فى يوم
واحد تدعوا الى مثلها ثم يتداعى قليلا قليلا حتى يستانس النفس بالكسل و تهجر التحصيل راسا
وصغار المعاصى يجر بعضها الى بعض حتى يفوت اصل السعادة بهدم اصل الايمان
عند الخاتمة فلا ينبغى ان يستهان بقليل الطاعة ولا يصغر المعصية فان الجملة الكثيرة
منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة من الاحاد فلكل واحد تاثير وربما يحصل الاخلاق
الحسنة بمشاهدة ارباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير والاخلاق السيئة
بمشاهدة ارباب الاعمال السيئة ومصاحبتهم وهم قرناء السوء فان الطبع يسترق من الطبع
الخير والشر جميعا فمن تظاهرت فى حقه الجهات الثلث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا
وتعلما فهو فى غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق له اقران السوء فتعلم
منهم وتيسرت له اسباب الشر حتى تعودها فهو فى غاية البعد من الله تعالى وبين الرتبتين
من اختلفت به هذه الجهات ولكل درجة فى القرب والبعد بحسب ما يقتضيه صفته وحالته
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا
انفسهم يظلمون اعلم ان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن
كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب امكنه العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون
بعيوب انفسهم يرى احدهم القذى فى عين اخيه ولا يرى الجذع فى عين نفسه فمن اراد ان
يقف على عيب نفسه فليطلب صديقا صادقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه
ليراقب احواله وافعاله فما يكرهه من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة
ينبهه عليه او يستفيد معرفة عيوب نفسه من لسان اعدائه فان عين السخط تبدى المساوى
كما قيل وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا ولعل انتفاع
الانسان بعدو شاخن يذكر عيوبه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثنى عليه ويمدحه
ويخفى عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد و
لكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول اعدائه فان مساويه لابد وان تنتشر على السنتهم
او يخالط الناس فكل ما يراه مذموما بين الخلق فيطالب نفسه بتركه وما يراه محمودا
يطالب نفسه به وينسب نفسه اليه فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى فى عيوب غيره عيوب نفسه

مدى شنیدم که هر شب زدیر
جذع بسر در بشتر ...

وليعلم انّ الطّباع متقاربة فى اتباع الهوى فما يتّصف به واحد من الاقران لاينفكّ
القرين الاخر عن اصله او عن اعظم منه او عن شئ منه فيتفقد نفسه ويطهّرها
عن كلّ ما يذمّه عن غيره وناهيك بهذا تاديبا فلو ترك النّاس كلّهم ما يكرهونه من غيرهم
لاستغنوا عن المؤدّب قيل لعيسى على نبيّنا وعليه السّلام من ادّبك فقال ما ادّبنى احد
رايت جهل الجاهل فجانبته فيما يؤدّى الى مساوى الاخلاق من البطن و
الفرج واللّسان اعلم انّ الاخلاق انّما يترسّخ فى النّفس بتكرير الاعمال والاعمال انّما تصدر
من القلب بتوسّط الجوارح وكلّ جارحة يصلح لان يصدر منه الاعمال الحسنة الجالبة
للاخلاق الجميلة وان يصدر منه الاعمال القبيحة المورّثة للاخلاق السيّئة فلابدّ من
مراعات القلب والجوارح بصرفها الى الخيرات ومنعهما من الشّرور واعظم المهلكات لابن ادم
شهوة البطن والفرج واللّسان ففى الحديث النّبوى من وقى شرّ قبقبه وذبذبه ولقلقه
فقد وقى والقبقب البطن والذّبذب الفرج واللّقلق اللّسان اما شهوة البطن فبها اخرج
آدم وحوّا من دار القرار الى دار الذّلّ والافتقار اذ نهيا عن اكل الشّجرة فغلبتهما شهوتهما
حتّى اكلا منها فبدت لهما سوآتهما والبطن على التّحقيق ينبوع الشّهوات ومنبت الادواء
والافات اذ يتبعها شهوة الفرج وشدّة الشّبق الى المنكوحات ثمّ يتبع شهوة المطعم و
المنكح شدّة الرّغبة فى المال والجاه الّذين هما الوسيلة الى التّوسّع فى المطعومات والمنكوحات
ثمّ يتبع استكثار المال والجاه انواع الرّعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثمّ يتولّد
من ذلك افة الرّياء وغائلة التفاخر والتّكاثر والكبرياء ثمّ يتداعى ذلك الى الحقد و
العداوة والبغضاء ثمّ يفضى ذلك بصاحبه الى اقتحام البغى والمنكر والفحشاء وكلّ
ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولّد من بطر الشّبع والامتلاء ولو ذلّل العبد نفسه بالجوع
وضيّق مجارى الشّيطان لاذعنت لطاعة الله ولم تسلك سبيل البطر والطّغيان و
لم ينجرّ به ذلك الى الانهماك فى الدّنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كلّ
هذا التكالب على الدّنيا قال النّبى صلّى الله عليه وآله ما ملا ابن ادم وعاء شرّا من
بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان هو فاعلا لا محالة فثلث لطعامه
وثلث لشرابه وثلث لنفسه وقال صلّى الله عليه وآله لا تميتوا القلوب بكثرة الطّعام
والشّراب فانّ القلب كالزّرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال صلّى الله عليه وآله افضلكم

عند

عند الله تعالى اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله تعالى كل نؤم اكول شروب و
قال الصادق عليه السلم ان البطن ليطغى من اكله واقرب مايكون العبد الى الله اذا
خف بطنه وابغض مايكون العبد الى الله اذا امتلا بطنه وفى مصباح الشريعة قال
الصادق عليه السلم ما من شئ اضر لقلب المؤمن من كثرة الاكل وهى مورثة شيئين قسوة
القلب وهيجان الشهوة والجوع ادام المؤمن وغذاء للروح وطعام للقلب وصحة للبدن
وقال لقمان لابنه يا بنى اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت
الاعضاء عن العبادة وبالجملة فوائد الجوع كثيرة منها صفاء القلب ورقته و
الاستلذاذ بالطاعة والانكسار المانع عن المعصية والغفلة وذكر جوع يوم القيمة
وكسر شهوة الفرج المستولية بالشبع ودفع النوم الذى يكل الطبع ويضيع العمر و
يفوت القيام والتهجد ويسر المواظبة على الطاعة لخفة البدن والفراغ عن الاهتمام
بالتحصيل والاعداد والاكل ودفع الامراض الشاغلة عنها فوزن المعدة بيت الداء و
الحمية راس كل دواء قد علمت ان المقصد الاقصى فى جميع الاحوال والاخلاق الوسط
وماذكر فى فضائل الجوع ربما يومى الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات ولكن من اسرار حكمة
الشريعة ان كلما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة فى المنع
منه على وجه يومى عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان
والعالم يدرك ان المقصود هو الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغى ان
يطلب غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال و
لما بالغ النبى صلعم فى الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم علم من حال بعضهم انه يصوم
الدهر ويقوم الليل كله نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع
المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر
فيه اصلا فان مقصود الاكل بقاء الحيوة وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع العبادة والم الجوع
ايضا يشغل القلب يمنع منها فالمقصود ان ياكل اكلا معتدلا بحيث لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون
متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام والم الجوع واليه الاشارة بقوله تعالى كلوا واشربوا
ولا تسرفوا والقوام فيه ان لا ياكل طعاما حتى يشتهيه ويرفع يده عنه وهو يشتهيه
واما شهوة الفرج فانما سلطت على الانسان لبقاء النسل ودوام الوجود ولان يدرك لذته
فيقيس بها لذات الاخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكان اقوى لذات الاجساد كما ان الم النار

اعظم الام الجسد فالترهيب والترغيب يسوقان الخلق الى سعاداتهم وليس ذلك الآ بالم محسوس ولذة مدركة فهذه فائدتها ولكن فيهما من الافة ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم تقهر ولم ترد الى حد الاعتدال فان لها ايضا افراطا وتفريطا فافراطها ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجل الى التمتع بالنساء والجوارى فيحرم عن سلوك طريق الاخرة او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد تنتهى هذه الشهوة بمن غلب وهمه على عقله الى العشق البهيمى الذى ينشا من استيلاء الشهوة فيسخر الوهم العقل لخدمة الشهوة وقد خلق العقل ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة محتالا لاجلها وهو مرض قلب فارغ لا همة له وانما يجب الاحتراز من اوائله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه وتفريطها هذه الشهوة امّا بالعفة الخارجة عن الاعتدال او بالضعف عن امتناع المنكوحة وهو ايضا مذموم وانما المحمود ان تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع فى انبساطها وانضباطها ومهما افرطت فكسرها يكون بالجوع وبالنكاح قال رسول الله صلى الله عليه واله يا معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه الصوم فان الصوم له وجاء

اعلم ان هذه الشهوة اغلب الشهوات على الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل الا ان مقتضاها قبيح يستحيى منه ويخشى من اقتحامه وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها اما العجز او الخوف او الحياء او المحافظة على حشمة وليس فى ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ اخر نعم من العصمة ان لا تقدر ففى هذه العوائق فائدة وهو دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع اثمه باى سبب كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل فى تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة عليه وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لاسيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه واله من عشق فعف وكتم فمات فهو شهيد وقال سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعته امرءة ذات حسب وجمال الى نفسها فقال انى اخاف الله رب العالمين وقصة يوسف وامتناعه عن زليخا مع القدرة ورغبتها معروفة وقد اثنى الله تعالى بذلك عليه فى كتابه وهو امام كل من وفق لمجاهدة الشيطان فى هذه الشهوة العظيمة قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا

شئ منه

فروجهم

فروجهم وقال النبىّ صلى الله عليه وآله النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته فى قلبه وقال اتقوا فتنة الدنيا و فتنة النساء فان اول فتنة بنى اسرائيل كانت من النساء واما اللسان فانه من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه اذ لا يتبين الايمان والكفر الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان ثم انه ما من موجود او معدوم خالق او مخلوق متخيل او معلوم مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات او نفى فان كل ما يتناوله العلم يعبر عنه اللسان اما بحق او باطل ولا شئ الا والعلم متناوله وهذه خاصة لا توجد فى سائر الاعضاء فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا سائر الاعضاء والبدن واللسان رحب الميدان ليس له لامرة ولا لمجاله منتهى ولا حد فله فى الخير مجال رحب وله فى الشر مجرى سحب فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخى العنان سلك به الشيطان فى كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره الى البوار ولا يكب الناس على مناخرهم فى النار الا حصائد السنتهم كما ورد فى الحديث النبوى ولا ينجى من شر اللسان الا ان يقيد بلجام الشرع فلا يطلق الا فيما ينفع فى الدنيا والآخرة ويكف عن كل ما يخشى غايلته فى عاجله وآجله وعلم ما يحمد اطلاق اللسان فيه او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب فى تحريكه ولا مؤنة فى اطلاقه وقد تساهل الخلق فى الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله وانه اعظم آلة الشيطان فى استغواء الانسان ولذلك قال النبىّ صلعم من صمت نجا وقال الصمت حكم وقليل فاعله اى هو حكمة وحزم وقال صلى الله عليه وآله امسك لسانك فانها صدقة تصدق بها على نفسك ثم قال ولا يعرف عبد حقيقة الايمان حتى يخزن لسانه وقال صلى الله عليه وآله من راى موضع كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه ومر امير المؤمنين عليه السلام برجل يتكلم بفضول الكلام فوقف عليه فقال يا هذا انك تملى على حافظيك كتابا الى ربك فتكلم بما يعنيك ودع ما لا

يعينك وعن السجاد عليه السلام قال ان لسان ابن ادم يشرف على جميع جوارحه
كل صباح فيقول كيف اصبحتم فيقولون بخير ان تركتنا ويقولون الله الله فينا ويناشدونه
ويقولون انما نثاب ونعاقب بك وعن الباقر عليه السلام ان شيعتنا الخرس وعن الصادق ع
النوم راحة للجسد والنطق راحة للروح والسكوت راحة للعقل وقال في حكمة آل داود
على العاقل ان يكون عارفا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه وقال قال لقمان لابنه
يا بني ان كنت زعمت ان الكلام من فضة فان السكوت من ذهب وفي مصباح الشريعة
قال الصادق عليه السلام الكلام اظهار ما في قلب المرء من الصفا والكدر والعلم والجهل قال
امير المؤمنين علي بن ابي طالب المرء مخبوء تحت لسانه فزن كلامك واعرضه على العقل و
المعرفة فان كان لله وفي الله فتكلم وان كان غير ذلك فالسكوت خير منه وليس على
الجوارح عبادة اخف مؤنة وافضل منزلة واعظم قدرا عند الله من الكلام في رضى
الله ولوجهه ونشر آلاءه ونعمائه في عباده الا ترى ان الله عز وجل لم يجعل فيما
بينه وبين رسله معنى يكشف ما اسر اليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير
الكلام وكذلك بين الرسل والامم ثبت بهذا انه افضل الوسائل والطف العبادة وكذلك
لا معصية اثقل على العبد واسرع عقوبة عند الله واشدها ملامة واعجلها سامة
عند الخلق منه وسئل السجاد عليه السلام عن الكلام والسكوت ايهما افضل فقال عليه السلام
لكل واحد منهما آفات فاذا سلما من الآفات فالكلام افضل من السكوت قيل و
كيف ذلك يا ابن رسول الله قال لان الله عز وجل ما بعث الانبياء والاوصياء بالسكوت
انما بعثهم بالكلام ولا استحقت الجنة بالسكوت ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت
ولا توقيت النار بالسكوت ولا يجتنب سخط الله بالسكوت انما ذلك كله بالكلام ما
كنت لاعدل القمر بالشمس انك تصف فضل السكوت بالكلام ولست تصف فضل
الكلام بالسكوت اعلم ان آفة اللسان كثيرة منها الخطا والكذب والغيبة
الغير الماذون فيها وخلف الوعد والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية
النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل والتحريف والزيادة والنقصان
وايذاء الخلق وهتك العورة وافشاء السر والسخرية والاستهزاء وغير ذلك و
هي سباقة الى اللسان لا تثقل عليه ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع

ومن الشيطان فالخائض فيما قلّما يقدر على ان يزمّ اللّسان فيطلقه بما يجب ويكفّه
عما لا يجب فانّ ذلك من غوامض العلم وفي الخوض خطر وفي الصّمت نجاة فلذلك
عظم فضل الصّمت مع ما فيه من جمع الهمّ ودوام الوقار والفراغ في الذكر والعبادة و
السّلامة من تبعات القول في الدّنيا ومن حسابه في الاخرة قال الله تعالى ما يلفظ
من قول الّا لديه رقيب عتيد وقال تعالى لا خير في كثير من نجويهم الّا من امر بصدقة او معروف
او اصلاح بين النّاس وقال النّبي صلى الله عليه وآله طوبى لمن امسك الفضل من لسانه
وانفق الفضل من ماله انّما قيّدنا الكذب والغيبة بغير الماذونين لانّ من
الكذب والغيبة ما يجوز قال الصّادق عليه السّلام كلّ كذب مسئول عنه صاحبه الّا في
ثلاثة رجل كائد في حربه فهو موضوع عنه ورجل اصلح بين اثنين يلقى هذا بغير ما
يلقى به هذا يريد بذلك الاصلاح بينهما او رجل وعد اهله شيئا وهو لا يريد ان
يتم لهم وكذا ورد عن النّبي صلى الله عليه وآله وورد انّ في المعاريض لمندوحة عن
الكذب يعني بالمعاريض التّورية وذلك اذا اضطرّ اليها وقال النّبي صلى الله عليه وآله
من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال ليس لفاسق غيبة وقال لي
الواجد يحلّ عرضه وعقوبته وقال لصاحب الحقّ مقال وقد مرّ الحديث في وجوب
اهل البدع والرّيب ليحذرهم النّاس وعن النّبيّ صلعم اترعوون عن ذكر الفاجر حتّى
لا يعرفه النّاس اذكروه بما فيه يحذّره النّاس وفي معنى الغيبة خفاء لا بدّ ان نكشف
الغطاء عنه فقد روى عن النّبيّ صلعم انّه قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله و
رسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل ان رايت ان كان في اخي ما اقول قال
ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته فان لم يكن فيه فقد بهتّه وفي مصباح الشّريعة
قال الصّادق عليه السّلام صفة الغيبة ان تذكر احدا بما ليس هو عند الله عيب ويذم ما يحمده
العلم فيه وامّا الخوض في ذكر غائب بما هو عند الله مذموم وصاحبه فيه ملوم فليس
بغيبة وان كره صاحبه اذا سمع به وكنت انت معافى عنه خاليا منه وتكون مبينا
للحقّ من الباطل ببيان الله ورسوله ولكن على شرط ان لا يكون للقائل بذلك مراد
غير بيان الحقّ والباطل في دين الله واما اذا اراد نقص المذكور بغير ذلك المعنى فهو
ماخوذ بفساد مراده وان كان صوابا اقول وينبغي تخصيص هذا الحديث بما اذا لم يكن

صاحبه عالما بقبحه ساترا على نفسه كارها لظهوره ويدلّ على ذلك ماروى عنه
عليه السّلم ايضا انّه قال هو ان تقول لاخيك فى دينه مالم يفعل وتبثّ عليه امرا قد
ستره الله عليه لم يقم عليه فيه حدّ وعن الكاظم عليه السّلم قال من ذكر رجلا من خلفه
بما هو فيه ممّا لا يعرفه النّاس اغتابه ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهتّه وعن الصّادق ع
قال الغيبة ان تقول فى اخيك ما ستر الله عليه وامّا الامر الظّاهر فيه مثل الحدّة و
العجلة فلا وخصّ بعض علمائنا تحريم الغيبة بغيبة من يعتقد الحقّ لانّ ادلّة الحكم
غير متناولة لاهل الضّلال فانّ الحكم فيها منوط بالمؤمنين او بالاخ والمراد اخوّة
الايمان فلا يتناول من لا يعتقد الحق وعن الصّادق عم انّ اصل الغيبة يتنوّع بعشرة
انواع شفاء غيظ ومساعدة قوم وتهمة وتصديق خبر بلا كشفه وسوء ظنّ وحسد
وسخريّة وتعجّب وتبرّم وتزيّن قال وان اغتبت فبلغ المغتاب فاستحلّ منه فان لم
يلحقه فاستغفر الله وسائر افات اللّسان مستغن عن البيان — فى الغضب
الحقد والحسد اعلم انّ الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة الّا انّها لا تطّلع
الّا على الافئدة وانّها المستكنّة فى طىّ الفؤاد استكنان الجمر تحت الرّماد وتستخرجها
حميّة الدّين من قلوب المؤمنين او حميّة الجاهليّة والكبر الدّفين من قلوب الجبّارين
الّتى لها عرق الى الشّيطان اللّعين حيث قال خلقتنى من نار وخلقته من طين فمن شان
الطين السّكون والوقار ومن شان النّار التّلظّى والاستعار والحركة والاضطراب
ومن نتايج هذا الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومقتضيهما
مضغة اذا اصلحت صلح لها سائر الجسد قال رسول الله صلعم الغضب يفسد الايمان كما يفسد
الخلّ العسل وقال من كفّ غضبه كفّ الله عنه عذابه وقال الباقر عليه السّلام ان هذا الغضب
جمرة من الشّيطان توقد فى جوف ابن ادم وان احدكم اذا غضب احمرّت عيناه وانتفخت
اوداجه ودخل الشّيطان فيه فاذا خاف احدكم ذلك من نفسه فليلزم الارض فانّ رجز
الشّيطان يذهب عنه عند ذلك قال وايّما رجل غضب على ذى رحم فليدن منه وليمسّه
فانّ الرحم اذا مسّت سكنت قال وكان ابى يقول اى شئ اشدّ من الغضب انّ الرّجل
يغضب فيقتل النّفس الّتى حرّم الله ويقذف المحصنة وقال من كفّ غضبه ستر الله عورته
وقال انّ فى التورية مكتوبا ابن ادم اذكرنى حين تغضب اذكرك عند غضبى وقال الصّادق ع

الغضب

الغضب مفتاح كل شرّ وانّما ينبسط الدّم عند الغضب اذا غضب الانسان على من دونه
واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه وكان معه ياس من الانتقام
تولّد منه انقباض الدّم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون
وان كان على نظير يشك فيه تردّد بين انقباض وانبساط فيحمرّ ويصفرّ
ويضطرب لطلب الانتقام وانّما يتوجّه هذه القوة عند ثورانها الى دفع الموذيا
الّذى خلقت لاجله قبل وقوعها والى التّشفّى والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت
هذه القوّة وشهوتها وفيه لذّتها ولا تسكن الّا به والنّاس فى هذه القوّة درجات ثلث
فى اول الفطرة من التّفريط والافراط والاعتدال امّا التّفريط فبفقد هذه القوّة او
ضعفها وذلك مذموم وهو الّذى يقال فيه له وهو ناقص جدّا ومن ثمرات عدم
الغيرة على الحرم واحتمال الذّلّ من الاخسّاء و النّفس والخور والسّكوت عند مشاهدة
المنكرات وقد وصف الله خيار الصّحابة بالشدّة والحميّة فقال اشدّاء على الكفّار و
قال تعالى يا ايّها النّبى جاهد الكفّار والمنافقين واغلظ عليهم وانما الشدّة والغلظة
من اثار قوة الغضب وامّا الافراط فهو ان تغلب هذه الصّفة حتى تخرج من سياسة العقل
والدّين وطاعتهما فلا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكر ولا اختيار وسبب غلبته قد يكون
فطريّا و قد يكون اعتياديّا بان يخالط قوما يتبجّحون بتشفى الغيظ الغضب
ويسمّون ذلك شجاعة ورجوليّة فيقول احدهم انا الّذى لا اصبر على المحال
من احد امرا ومعناه لا عقل لى ثمّ يذكره فى معرض الفخر فمن سمعه فيرسخ فى
الغضب وحبّ التشبّه بالقوم فيعمى ويصمّ عن كل موعظة ولا يقدر الاستطلاءة بنور
عقله لانطفائه بدخان الغضب ومن اثار هذا الغضب فى الظاهر تغير اللّون وشدّة
الرّعدة فى الاطراف وخروج الافعال عن التّرتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام
حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمرّ الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة
ولو راى الغضبان فى حال غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته و
قبح باطنه اعظم من قبح ظاهره فان الظّاهر عنوان الباطن وانّما قبحت صورة
الباطن اوّلا ثم انتشر قبحها الى الظّاهر ثانيا فهذا اثره فى الجسد وامّا اثره فى
اللّسان فانطلاقه بالشّتم والفحش وقبيح الكلام الّذى يستحيى منه ذوى العقول

ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب
اللفظ واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح
عند التمكن من غير مبالات فان هرب منه المغضوب عليه اوفاته بسبب
وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم وجهه
وقد يعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير وربما سقط صريعا لا
يطيق العدو والنهوض لشدة الغضب ويعتريه شبه الغشية وربما يضرب
الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة على الارض ويكسر المائدة اذا غضب عليها
وقد يتعاطى افعال المجانين فيشتم البهيمة والجماد ويخاطبهما ويقول الى
متى منك كانه يخاطب عاقلا واما اثره في القلب فالحقد والحسد واظهار السوء
والشماتة بالمساءة والحزن والعزم على افشاء السر وهتك الاستار وغير
ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط وينبغي لصاحبه ان يعالج نفسه
من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم
وهو ادق من الشعر واحد من السيف فان عجز فليطلب القرب منه قال
الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل
الميل فتذروها كالمعلقة فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي
بالشر كله ولكن بعض الشر اهون من بعض وبعض الخير ارفع من بعض

اعلم ان الانسان ما يوافقه ويحتاج اليه ويكره ما يخالفه و
يتاذى منه فلا يخلو عن الغيظ والغضب بجبلة طبعه مهما اخذ منه
محبوبه او قصد بمكروه غضب لا محالة وهذا يختلف باختلاف الاشخاص
اما الضروري لكل احد ما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله من اصبح
امنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكانما خيرت له الدنيا بحذافيرها
فمن كان بصيرا بحقائق الامور هذه الثلث وكل ما كان ضروريا له خاصة
يتصور ان لا يغضب في غيرها اعني يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر
الا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وتكلف التحلم و
الاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فاما قمع اصل الغيظ

من القلب وذلك مقتضى الطبع فهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا
يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه الى ان لا يظهر اثره في الوجه ولكن ذلك
شديد جدا ان قيل ان الواجب التالم بفوات المحتاج اليه دون الغضب فمن له شاة
مثلا وهي قوته فماتت فلا يغضب على احد وان كان يحصل فيه كراهته وليس من ضرورة
كل كراهة غضب فالانسان يتالم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن
غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها من الله فلا يغضب على احد من خلقه اذ
يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع عليه ملك بضرب رقبته
لم يغضب على القلم فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع ايض بحسن الظن بالله وهو ان
يرى ان الكل من الله وان الله لا يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما يكون الخيرة في جوعه ومرضه
وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد لانه يرى ان الخيرة فيه فنقول ان هذا
على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد على هذا الوجه انما يكون كالبرق الخاطف لا
يدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على
الدوام لبشر لتصور لرسول الله ص وعلي امير المؤمنين ع قال كان النبي ص لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه
الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق وان كان غضبه لله فهو التفات
الى الوسايط على الجملة بل كل من غضب على من ياخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها
فانما غضب لله فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد اصل الغيظ فيما هو ضروري اذا كان القلب مشغولا
بضروري اهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان اشتغل القلب ببعض المهمات
يمنع الاحساس بما عداه وهذا كما ان سلمان رضي الله عنه لما شتم قال ان خفت موازيني فانا شر
مما تقول وان ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الآخرة فلم يتاثر قلبه بالشتم
فاذا يتصور فقد الغيظ اما باشتغال القلب بمهم او بغلبة نظر التوحيد وبسبب ثالث وهو ان يعلم
ان الله يحب منه ان لا يغتاظ فيطفي شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في احوال نادرة
قد ثبت ان علاج كل علة بحسم مادتها وازالة اسبابها والاسباب المهيجة للغضب هي الزهو و
العجب والفخر والهزل والهزء والذل والتعيير والممارات والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول
المال والجاه وهي باجمعها اخلاق ردية مذمومة شرعا ولا خلاص عن الغضب مع بقاء هذه
الاسباب فلا بد من ازالتها باضدادها فينبغي ان تميت الزهو بالتواضع والعجب بالمعرفة بنفسك

والفخر بمعرفة انّه من الرذائل وانّما الفخر بالفضائل واما الهزل فتزيله بالجدّ في طلب الفضائل والاخلاق
الحسنة واما الهزل فتزيله بالتكرّم عن ايذاء الناس وبصيانة النفس عن ان يستهزئ بك واما التعيير
فبالحذر عن قول القبيح وصيانة النفس عن مرّ الجواب واما شدّة الحرص على مزايا المعاش فتزال
بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعزّ الاستغناء وترفّعا عن ذلّ الحاجة وكلّ خلق من هذه الاخلاق
وصفة من هذه الصّفات مفتقر في علاجها الى رياضة وتحمّل مشقة وحاصل رياضتها يرجع الى
معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثمّ المواظبة على مباشرة اضدادها مرة بعد اخرى
حتّى يصير بالعادة مألوفة هنيئة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وطهرت عن هذه
الرّذائل وتخلّصت عن الغضب الذي يتولد منها وعلاجه عند هيجانه الاستعاذة
من الشيطان والجلوس ان كان قائما والاضطجاع ان كان جالسا والوضوء او الغسل
بالماء البارد فان الغضب من النار كذا ورد في الحديث النبوي وان يتفكر فيما ورد من فضائل
كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال قال الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين
وقال الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال ادفع بالتي هي احسن السّيئة
فاذا الّذي بينك وبينه عداوة كانّه ولي حميم وما يلقّيها الا الذين صبروا وما يلقّيها
الّا ذو حظ عظيم وقال النبي صلّى الله عليه وآله ما جرع عبد جرعة اعظم قدرا من جرعة غيظ
كظمها ابتغاء وجه الله وقال الباقر عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على امضائه حشا
الله قلبه امنا وايمانا وقال الصّادق ع ما من عبد كظم غيظا الّا زاده الله عزّا في
الدّنيا والاخرة وقال عليه السلام كفى بالحلم ناصرا وقال اذا لم تكن حليما فتحلّم وان يخوف نفسه
بعقاب الله احوج ما يكون الى العفو وان يحدث نفسه عاقبة العداوة والانتقام و
تشمّر العدو لمقابلته وان يتفكر قبح صورته عند غضبه بان يتذكر صورة غيره في حالة
الغضب وان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشئ على وفق مراد الله لا على وفق مراده
وعن النبيّ صلعم الا انّ بني ادم خلقوا على طبقات شتّى منهم بطئ الغضب سريع الفئ و
منهم سريع الغضب سريع الفئ فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطئ الفئ الا وانّ خيرهم
البطئ الغضب السّريع الفئ وشرّهم السّريع الغضب بطئ الفئ   اعلم ان الغضب اذا لزم
كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه
استثقاله والبغضة له والنفار عنه وان يدوم على ذلك ويبقى قال رسول الله المؤمن ليس بحقود

والحقد

والحقد يثمر امورا منها الحسد وهو ان يحملك الحقد على ان يتمنى زوال النعمة عنه
ويغتم بنعمة ان اصابها ويسر بمصيبة ان نزلت به ومنها ان يزيد على
اضمار الحسد في الباطن فيشمت بما يصيبه من البلاء ومنها ان يهجره و
ينقطع عنه وان طلبه المحقود واقبل عليه ومنها ان يتكلم فيه بما لا يحل
من كذب وغيبة وافشاء سر وهتك ستر وغيره ومنها ان يحاكيه استهزاء به وسخرية
منه ومنها ايذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه ومنها ان يمنعه حقه من صلة رحم وقضاء
دين او رد مظلمة وكل ذلك حرام واقل درجات الحقد ان يحترز من هذه الآفات
ولكن يشتغله بالباطن ولا ينتهي قلبه عن بغضه حتى يمتنع عما كان يتطوع به من البشاشة   ل يستثقله
والرفق والعناية والقيام لحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله والمعاونة على المنفعة
له او يترك الدعاء له والثناء عليه والتحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجته
في الدين ويحول بينه وبين فضل عظيم والاولى ان يبقى على ما كان ثم ان امكنه ان يزيد
في الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك مقام الصديقين قال رسول الله   للنفس م
صلى الله عليه وآله الا اخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة العفو عمن ظلمك وتصل من قطعك
والاحسان الى من اساء اليك واعطاء من حرمك وقال صلى الله عليه وآله عليكم
بالعفو فان العفو لا يزيد العبد الا عزا فتعافوا يعزكم الله وقال الباقر عليه السلم
الندامة على العفو افضل وايسر من الندامة على العقوبة وعن النبي صلى الله عليه وآله
ان الرفق لم يوضع على شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه وقال الباقر عليه السلم ان لكل
شيء قفلا وقفل الايمان الرفق وقال عليه السلم ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على العنف   الرفق ما لا يعطي على ع
قال الصادق عليه السلم من كان رفيقا في امره نال ما يريد من الناس وقال الكاظم ع الرفق
نصف العيش فصل واعلم ان الحسد من نتايج الحقد كما ان الحقد من نتايج الغضب ثم للحسد
من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى قال الله تعالى في معرض الانكار ام يحسدون الناس
على ما آتيهم الله من فضله وقال ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم
كفارا حسدا من عند انفسهم وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا
بها وذكر الله حسد اخوة يوسف وعبر عما في قلوبهم وما اداهم اليه من الرضا بقتله ثم
ما اصابهم من ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وآله الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال
صلى الله عليه وآله قال الله تعالى لموسى بن عمران يا ابن عمران لا تحسدن الناس على ما آتيتهم من فضلي

قسمت

التي
ولا تمدّنّ عينيك الى ذلك ولا تتبعه نفسك فان الحاسد ساخط لنعمي صادّ لقسمي
بين عبادي ومن يك كذلك فلست منه وليس مني وقال صلى الله عليه وآله استعينوا
على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال صلى الله عليه وآله ثلث لا ينجو
منهن احد وفي رواية قلّ من ينجو منهن الظن والطيرة والحسد وسأحدثكم بالمخرج
من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ وقال
الصادق عليه السلام آفة الدين الحسد والعجب والفخر وفي مصباح الشريعة قال الصادق
عليه السلام الحاسد مضر بنفسه قبل ان يضر بالمحسود كابليس اورث بحسده لنفسه
اللعنة ولادم الاجتباء والهدى والرفع الى محل حقائق العهد والاصطفاء فكن
محسودا ولا تكن حاسدا فان ميزان الحاسد ابدا خفيف بثقل ميزان المحسود والرزق
مقسوم فماذا ينفع الحسد الحاسد وماذا يضر المحسود الحسد والحسد اصله من عمى القلب وجحود
فضل الله وهما جناحان للكفر وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الابد وهلك مهلكا لا ينجو
منه ابدا ولا توبة للحاسد لانه مصرّ عليه معتقد به مطبوع فيه يبدو بلا معارض به ولا
سبب والطبع لا يتغير عن الاصل وان عولج اقول معنى الحسد كراهة النعم على المحسود وحب
زوالها منه واما ان لا يكره وجودها ودوامها عليه ولكن يشتهي لنفسه مثلها فيسمى غبطة وقد يسمى
منافسة قال الله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون والغبطة ان كانت في الدنيا فمباح
وان كانت في الدين فمندوب اليها قال النبي صلى الله عليه وآله المؤمن يغبط والمنافق يحسد
وقال لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله
علما فهو يعمل به ويعلّمه الناس سمّى الغبطة حسدا وهذا كما قد يسمى الحسد منافسة فان اصاب
النعم كافرا وفاجرا وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذاء
الخلق فلا يضر كراهتها عليه وحب زوالها منه من حيث انها آلة للفساد لا من حيث
انها نعمة واسباب الحسد المذموم العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت
المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعم عليه
اما لانه عدوه فلا يريد له الخير واما ان يكون من حيث يعلم انه يستكبر بالنعمة
عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما
ان يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد
بالتكبر واما ان يكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة

وهو المراد

وهو المراد بالتحبب واما ان يخاف فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته
في اغراضه واما ان يكون يحب الرياسة التي تبتني على الاختصاص بنعمة لا يساوي فيها واما
ان لا يكون بسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله وان كانت النعمة
لا ينتقل اليه وقد تجتمع هذه الاسباب او اكثرها في شخص واحد فيعظم الحسد لذلك ويقوى قوة
لا يقدر معها على الاخفا والمجاملة فينهتك حجاب المجاملة ويظهر العداوة بالمكاشفة فصل
هذه الاسباب انما تكثر بين اقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون
على الاغراض فاذا خالف واحد صاحبه في غرض من اغراضه نفر طبعه وابغضه وثبت الحقد فيه فعند ذلك
يريد ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافيه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه
واذا لا ترى الحسد بين شخصين في بلدتين متباعدتين فلا يكون بينهما محاسدة نعم اذا تجاورا في مسكن
او سوق او مسجد او مدرسة تواردا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهم فيثور من التناقض
التنافر والتباغض ومنه يثور بقية الاسباب فلذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد
والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر دون غيره الا بسبب اخر سوى الاجتماع
في الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب والمراة تحسد ضرتها وسرية زوجها
اكثر مما يحسد ام الزوج وابنته وذلك للتزاحم على المقاصد نعم من اشتد حرصه على الجاه واحب الصيت
في جميع اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها
ومنشا جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين اما الاخرة فلا ضيق فيها
وانما مثال الاخرة نعمة علم الاخرة فلا جرم من يحب معرفة الله تع معرفة صفاته وملائكته وانبيائه
وملكوت ارضه وسمائه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق على العارفين
بل المعلوم الواحد يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ ولا ينقص لذة واحد بسبب غيره
بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة اذ معرفة الله بحر واسع
لا ضيق فيه والمنزلة عند الله ايضا لا ضيق فيه لان اجل ما عند الله من النعم لذة لقائه وليس فيها
ممانعة ولا مزاحمة بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال
هو اعيان واجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الاخرين ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلا
قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الاخر او نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة
فصل اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى امراض القلب الا بالعلم والعمل والعلم النافع
لمرض الحسد ان تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لا ضرر به على المحسود

في الدين ولا في الدنيا بل ينتفع بها فيهما ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك
وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة اما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت
قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها لعباده وعدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت
ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بهما جناية
على الدين وقد انضاف اليه انك غششت رجلا من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت اولياء الله وانبياءه
في حبهم الخير لعباد الله وشاركت ابليس وسائر الكفار في حبهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه
خبائث في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار واما كونه ضررا
في الدنيا عليك فهو انك تتألم بحسدك وتتعذب به لا تزال في كمد وغم اذ اعداؤك لا يخليهم الله
عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما
محزونا متشعب القلب ضيق النفس كما تشتهيه لاعدائك كما يشتهي اعداؤك فقد كنت تريد المحنة لعدوك
فتنجزت في الحال محنتك نقدا ولا تزول النعمة على المحسود بحسدك اذ لو كانت النعم تزول بالحسد
لم تبق لله عليك نعمة ولا على الخلق ولا نعمة الايمان ايضا لان الكفار يحسدون المؤمنين على
الايمان قال الله تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما
يشعرون بل ما قدره الله من اقبال ونعمة فلا بد ان يدوم الى اجل قدره الله ولا حيلة في دفعه
بل كل شيء عنده بمقدار ولكل اجل كتاب ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر
في الدنيا ولا يكون عليه اثم في الاخرة واما ان المحسود ينتفع في الدين والدنيا فواضح اما منفعته
في الدين فهو انه مظلوم من جهتك لا سيما اذا اخرجك الحسد الى القول والفعل بالغيبة والقدح
فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها اليه بانتقال حسناتك الى ديوانه حتى يلقاه
منك محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فاضفت له نعمة الى نعمة واضفت لنفسك شقاوة
الى شقاوتك واما منفعته في الدنيا فهو ان اهم اغراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم
وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب اعظم مما انت فيه من الم الحسد وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم
فالحاسد ينبغي ان يحكم الحسد وكلما يتقاضاه من قول وفعل فينبغي ان يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد
على القدح فيه كلف لسانه المدح والثناء عليه وان حمله على التكبر الزم نفسه التواضع له والا
عتذار اليه وان بعثه على كف الانعام عنه الزم نفسه الزيادة في الانعام فمهما فعل ذلك
عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه واحبه ومهما احبه عاد الحاسد واحبه وتولد بينهما الموافقة
التي تقطع مادة الحسد ويصير ما تكلفه اولا طبعا آخرا والاصل في العلاج قمع اسباب الحسد من الكبر

وعزة النفس

وعن النفس وشدة الحرص على ما لا يعني كما يأتي بيانه الباب الرابع في الرياء والكبر والعجب اعلم ان الرياء
بالعبادة حرام وصاحبه ممقوت عند الله قال الله تعالى فويل للمصلين الذين هم
عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون وقال عز وجل يراؤن الناس
ولا يذكرون الله الا قليلا وقال كالذي ينفق ماله رئاء الناس وقال رسول الله صلعم
يقول الله تعالى من عمل عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بريء وانا اغنى الاغنياء
عن الشرك وقال صلى الله عليه وآله ان ادنى الرياء شرك وقال سيأتي على الناس زمان
تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعا في الدنيا لا يريدون به ما عند ربهم
يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف يعمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا
يستجيب لهم وقال صلى الله عليه وآله ان الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجا به فاذا
صعد بحسناته يقول الله تعالى اجعلوها في سجين انه ليس اياي اراد به قال امير المؤمنين
عليه السلام اخشوا الله خشية ليست بتعذير واعملوا لله في غير رياء وسمعة فانه من عمل
لغير الله وكله الله الى عمله وقال عليه السلام ثلاث علامات للمرائي ينشط اذا رأى الناس
ويكسل اذا كان وحده ويحب ان يحمد في كل اموره وعن الباقر عليه السلام الابقاء على العمل اشد من العمل قيل وما الابقاء على العمل
قال الرجل يصل بصلة وينفق نفقة لله وحده لا شريك له فكتبت له سرا ثم يذكرها
فتمحى فتكتب له علانية ثم يذكرها فتمحى وتكتب له رياء وقال الصادق عليه السلام قال الله تعالى
انا خير شريك من اشرك معي غيري في عمل عمله لم اقبله الا ما كان لي خالصا وقال كل رياء
شرك انه من عمل للناس كان ثوابه على الناس ومن عمل لله كان ثوابه على الله وقال
عليه السلام في قول الله عز وجل فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة
ربه احدا قال الرجل يعمل شيئا من الثواب لا يطلب به وجه الله انما يطلب تزكية الناس
يشتهي ان يسمع به الناس فهذا الذي اشرك بعبادة ربه ثم قال ما من عبد اسر خيرا فذهبت
الايام ابدا حتى يظهر الله له خيرا وما من عبد يسر شرا فذهبت الايام حتى يظهر الله له
شرا وقال عليه السلام ما يصنع احدكم ان يظهر حسنا ويسر سيئا اليس يرجع الى نفسه
فيعلم ان ذلك ليس كذلك والله تعالى يقول بل الانسان على نفسه بصيرة ان السريرة
اذا صحت قويت العلانية وقال من اراد الله بالقليل من عمله اظهره الله له اكثر مما اراد
ومن اراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله ابى الله الا ان يقلله
في عين من سمعه ولا بأس بالسرور اذا كان قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله

ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله اطلعهم عليه واظهر الجميل من احواله فيستدل به على حسن
صنع الله به ونظره له والطافه به فانه يستر الطاعة والمعصية ثم يستر عليه المعصية
ويظهر الطاعة فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال الله
تع قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وكذا اذا استدل باظهار الله الجميل وستر القبيح
عليه في الدنيا انه كذلك يفعل به في الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما ستر الله على
عبد في الدنيا الا ستر عليه في الآخرة فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال من غير التفات
الى المستقبل وكذا اذا ظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك
اجره فيكون له اجر العلانية بما اظهر آخرا واجر السر بما قصده اولا ومن اقتدى به في طاعة
فله اجر اعمال المقتدين به من غير ان ينقص من اجورهم شيء وكذا اذا فرح بطاعتهم لله
في مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله
يا رسول الله اسر العمل لا احب ان يطلع عليه احد فيطلع عليه فيسرني قال لك اجران اجر السر
واجر العلانية وعن الباقر عليه السلام انه سئل عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه انسان فيسره ذلك
قال لا باس ما من احد الا وهو يحب ان يظهر الله له في الناس الخير اذا لم يكن صنع ذلك لذلك وكذا
الكلام في كتمان المعاصي لا لان يعتقد فيه الورع بل للتحامي عن التهتك ولان الستر مأمور به
يعرف بكراهة ظهورها عند الغير او لان ذمها لهم بالذم فهو مباح لكونه جبليا او لان الناس
شهداؤه كما ورد او لان الذام يصير عاصيا ويعرف بتسويه ذمه وذم غيره او الخوف ان يقصد
بسوء او للحياء فهو كرم الطبع كما ورد الحياء كله خير الحياء شعبة من الايمان او لان يقتدي به الغير
او حبه محبة الناس له ليعلم محبة الله تعالى له فان من احبه الله تع جعله محبوبا في قلوب الناس
فصل اعلم ان الرياء بالعبادة انما ينشأ من حب لذة الحمد والفرار من الم الذم والطمع فيما
في ايدي الناس فمهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال
من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب والمقت والخزي وقابل المنزلة
ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته من الآخرة وما يحبط عليه من ثواب الاعمال
لترك الرياء لا محالة مع ان العمل الواحد ربما كان يرجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا افسد
بالرياء حول الى كفة السيئات فترجح به ويهوي الى النار هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت
الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق
ورضا بعضهم في سخط بعض ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه واسخطهم ايضا عليه ثم اي غرض سخط الله

في نقصهم

له في مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم رزقا ولا اجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو
يوم القيمة واما الطمع بما في ايديهم فبان يعلم ان الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء
وان الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله ومن طمع في الخلق لم يخل عن الذل والخيبة وان وصل
الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فاذا اقرر في قلبه اثر هذه الاسباب وضررها فترت رغبته
واقبل على الله قلبه ويكفيه ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص لمقتوه
وسيكشف الله عن ستره حتى يبغضه الى الناس ولو اخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه وحببه
اليهم وسخرهم له واطلق السنتهم بمدحه والثناء عليه مع انه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم
ثم ينبغي ان يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب دون الفواحش
حتى تقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عبادته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به وذلك وان شق
في بداية المجاهدة لكن اذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه بتواصل الطاف الله
وما يمده به عباده من حسن التوفيق والتاييد لكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فمن العبد
المجاهدة ومن الله الهداية والله لا يضيع اجر المحسنين وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام اكثر
ما يقع الرياء في النظر والاكل والكلام والمشي والمجالسة واللباس والضحك والصلوة والحج والجهاد
وقراءة القران وسائر العبادات الظاهرة ومن اخلص لله باطنه وخشع له بقلبه ورأى نفسه
مقصرا بعد بذل المجهود وجد الشكر عليه حاصلا ويكون ممن يرجى له الخلاص من الرياء والنفاق
اذا استقام على ذلك في كل حال فصل واما الرياء بغير العبادات فقد يكون مستحبا وقد يكون
واجبا اذ يجب على المؤمن صيانة عرضه وان لا يفعل ما يعاب عليه فلا يليق بذوي المروات
ان يرتكبوا الامور الخسيسة بانفسهم عند مشاهدة الناس وان جاز لهم في الخلوة لان
ذلك يختلف باختلاف الازمنة والبلاد والاشخاص من العباد فلا بد من مراعاة ذلك وعن الصادق
عليه السلام انه نظر الى رجل من اهل المدينة قد اشترى لعياله شيئا وهو يحمله فلما راه الرجل استحيى منه
فقال عليه السلام اشتريته لعيالك وحملته اليهم اما والله لولا اهل المدينة لاحببت ان اشتري
لعيالي الشيء ثم احمله اليهم اراد عليه السلام لولا مخافة ان يعيبوني على ذلك مع ان جده امير المؤمنين
صلوات الله عليه كان يفعل مثله الا انه لما كان في زمان لا يعاب عليه بمثله جاز له ان يرتكبه
وكان منفعة له وتعليما وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله اراد يوما ان
يخرج على اصحابه فكان ينظر في حب من الماء ويسوي عمامته وشعره فقيل له او تفعل

ذلك يا رسول الله فقال نعم ان الله يحب من العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم وقال
امير المؤمنين عليه السلام ليتزين احدكم لاخيه المسلم كما يتزين للغريب الذي يحب ان يراه في احسن
الهيئة وقال الصادق عليه السلام الثوب النقي يكبت العدو فكل ذلك رياء محبوب
واما الكبر فانه من نتايج العجب والتكبر ينشأ من الحقد والحسد والرياء وقد ذم الله
التكبر في مواضع من كتابه قال الله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق
وقال كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يدخل الجنة
من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر وقال من تعظم في نفسه واختال في مشيته
لقي الله وهو عليه غضبان وقال الباقر عليه السلام الكبر رداء الله والمتكبر ينازع الله رداءه
وقال الصادق عليه السلام الكبر ان تغمص الناس وتسفه الحق وفسر عليه السلام في رواية اخرى سفه الحق
بان يجهل الحق ويطعن على اهله والغمص بتحقير الناس والتجبر عليهم وقال عليه السلام ما من احد يتكبر
او يتجبر الا لذلة وجدها في نفسه وقال ان في جهنم لواديا للمتكبرين يقال له سقر شكى الى الله
شدة حره وسأله ان يأذن له ان يتنفس فتنفس فاحرق جهنم وقال ان المتكبرين يجعلون
في صور الذر يتوطأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب وقال عليه السلام ان في السماء ملكين موكلين
بالعباد فمن تواضع رفعاه ومن تكبر وضعاه وعن النبي صلى الله عليه وآله ما تواضع احد لله الا
رفعه الله وعنه صلى الله عليه وآله انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة لاهله
يدفع به الكبر عن نفسه وعنه صلى الله عليه وآله انه قال لاصحابه ما لي لا ارى عليكم حلاوة العبادة
قال التواضع وعنه صلى الله عليه وآله قال اذا رأيتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم قالوا وما حلاوة العبادة
واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم مذلة وصغار وعن السجاد عليه السلام انه مر
على المجذومين وهو راكب حماره وهم يتغدون فدعوه الى الغداء فقال اما اني لولا اني
صائم لفعلت فلما صار الى منزله امر بطعام فصنع وامر ان يتنوقوا فيه ثم دعاهم فتغدوا
عنده وتغدى معهم وعن الكاظم عليه السلام قال التواضع ان تعطي الناس ما تحب
ان تعطاه في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام التواضع اصل كل شرف
نفيس ومرتبة رفيعة ولو كان للتواضع لغة يفهمها الخلق لنطق عن حقائق ما في
مخفيات العواقب والتواضع ما يكون لله وفي الله وما سواه مكر ومن تواضع
لله شرفه الله على كثير من عباده ولاهل التواضع علامات يعرفها اهل السموات

من الملائكة واهل الارض والعارفين قال الله عز وجل وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا
بسيماهم واصل التواضع من اجلال الله وهيبته وعظمته وليس لله عز وجل عبادة
يرضاها ويقبلها الا وبابها التواضع ولا يعرف ما في حقيقة التواضع الا المقربون
من عباده المتصلين بوحدانيته قال الله عز وجل وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا
واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقد امر الله عز وجل خير خلقه وسيد بريته محمدا صلى الله
عليه وآله بالتواضع فقال عز وجل واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين والتواضع مزرعة
الخشوع والخضوع والخشية والحياء وانهن لا ياتين الا منها ولا يسلم الشرف التام الحقيقي
الا للمتواضع في ذات الله التكبر قد يكون على الله كما كان لنمرود وفرعون وقد يكون
على رسله كما كان لمن كان يقول أهؤلاء من الله عليهم من بيننا وقد يكون على سائر الناس
بان يستعظم نفسه ويستحقر غيره فاذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف من قبوله
واشمأز بجحده كما يكون لاكثر المناظرين في العلوم المغلبة والافحام ثم قد يكون بالعلم
وقد يكون بالعبادة والورع وقد يكون بالنسب والحسب والجمال والمال والقوة وكثرة
الانصار والاتباع والتكبر بالعلم له سببان احدهما ان يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس
بعلم حقيقي والثاني ان يخوض في العلم وهو خبيث النفس ردي الاخلاق لم يهذب نفسه
اولا ولم يزكها بالمجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر فاذا خاض في
العلم اي علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير اثره وعلاجه
ان يعلم ان الكبر لا يليق الا بالله عز وجل وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا
وقد احب الله منه ان يتواضع فلا بد ان يكلف نفسه ما يحب مولاه وان يعلم ان حجة الله
على اهل العلم اوكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل من العالم وانه من عصى الله عن معرفة
وعلم فجنايته افحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وآله يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها
كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه
وقد مثل الله علماء اليهود بالحمار وبلعم بن باعورا بالكلب وقال عيسى بن مريم ويل للعلماء السوء كيف
تتلظى عليهم النار وقال الصادق عليه السلام يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل ان يغفر للعالم ذنب واحد وعلى
الورع ان يعلم ان من تقدم عليه بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه لما عرف من فضيلة العلم بل ان يكون محب

على العالم يمكن ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه ان الحسنات يذهبن السيئات وامر غير العالم
في حقه مستور وانما المدار على الخاتمة فعليه ان يرى من هو شر منه ان يقول لعل هذا ينجو
واهلك انا فلا يراه شرا منه خائفا من العاقبة ويقول لعل تحت هذا باطن نذا لك خير له ولا ادري
لعل فيه خلق كريم بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه ويختم له باحسن الاعمال ويرى ظاهر من
ذلك شرا لي لا آمن فيما اظهر من الطاعة ان يكون دخلها الآفات فاحبطتها وبالجملة من عز ان
يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء الازلي بشقوته فما له سبيل الى ان يتكبر على احد من الاحوال
نعم اذا غلبه الخوف راى كل احد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة قال الله تعالى والذين يؤتون
ما اتوا وقلوبهم وجلة اي يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها ومن يعتز بالكرم من
النسب فليداو قلبه بمعرفة امرين احدهما ان هذا جهل من حيث تعزز بكمال غيره ولذلك قيل
لئن فخرت بآباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا فالمتكبر بالنسب اذا كان خسيسا في
صفات ذاته فمن اين يجبر خسته كمال غيره بل لو كان الذي ينتسب اليه حيا لكان له ان يقول الفضل
لي ومن انت انما انت دودة خلقت من فضلتي والثاني ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده
فان اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال الذي احسن
كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين واما الكبر بالجمال
فدواؤه ان ينظر الى باطنه نظر العقلاء ليرى من القبائح ما يكدر عليه التعزز بجماله فانه وكل
بالاقذار في جميع اجزائه الرجيع في امعائه والبول في مثانته والمخاط في انفه والبصاق في فيه
والوسخ في اذنه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطه يغسل الغائط
كل يوم دفعة او دفعتين بيده يتردد الى الخلاء كل يوم مرة او مرتين ليخرج من باطنه ما لو رآه
بعينه لاستقذره فضلا ان يمسه او يشمه وفي اول امره خلق من الاقذار الشنيعة
الصور من النطفة ودم الحيض خرج من مخرج البول الى الرحم مغتذيا بدم الحيض ثم مجرى القذر
ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعهده بالتنظيف والغسل لثارت منه الانتان والاقذار
وسيصير جيفة اقذر من سائر الاقذار واما التكبر بالقوة فيمنعه من ذلك ان يعلم
ما سلط عليه من العلل والامراض وانه لو توجع عرق واحد من بدنه لصار اعجز من كل
من كل عاجز واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت في
انفه او نملة دخلت في اذنه لقتلته وان شوكة دخلت في رجله لاعجزته وان حمى يوم تحلل من قوته

لا يعجز في منع ثم ان اقوى انسان لا يكون اقوى من حمار او فيل او جمل او بقر واي افتخار في
صفة تسبقه البهايم واما التكبر بالغنى وكثرة المال والاتباع فذلك تكبر بمعنى خارج من ذات
الانسان كالجمال والقوة والعلم وهذا اقبح انواع التكبر فان المتكبر بثيابه يشبه اليهود لشرف داف
باهله السارق والتكبر بتمكن السلطان امره على قلبه هو اشتغالنا من القدرة فان
تغير عليه كان اذل الخلق وكل متكبر بامر خارج من ذاته فهو ظاهر الجهل اعلم انه لا يتم
الشفاء من الكبر الا باستيصال اصله من منبته وقلع شجرته من مغرسها في القلب وذلك
بان يعرف ربه وانه لا يليق العظمة والكبرياء الا به وان يعرف نفسه حق المعرفة ليعلم
انه بذاته اذل من كل ذليل واقل من كل قليل ولا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة و
يكفيه اية واحدة من كتاب الله عز وجل ان فتحت بصيرته قال الله تعالى قتل الانسان ما اكفره من اى
شي خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره
ثم لو اكمله وفوض اليه امره وادام له الوجود باختياره لجاز ان يطغى وينسى المبدا والمنتهى
ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الامراض الهايلة والاسقام العظيمة والافات المختلفة
والطبايع المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم ليهدم البعض من اجزائه البعض
شاء ام ابى رضي ام سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه
نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد ان يعلم الشي فيجهله ويريد ان يذكر الشي فينساه و
يريد ان ينسى الشي فيشتغل عنه فلا يغفل ويريد ان يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول في اودية
الوسواس والافكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه يشتهي الشي وربما يكون
هلاكه فيه ويكره الشي ويكون حياته فيه يستلذ الاطعمة فتهلكه وترديه ويستبشع الادوية
وهي تنفعه وتحييه لا يامن في لحظة من ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره وعلمه وقدرته
وتفلج اعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه وهو مضطر
ذليل ان ترك بقي وان اختطف فني عبد مملوك لا يقدر على شي من نفسه ولا من غيره فاي
شي اذل منه لو عرف نفسه وانى يليق الكبر به لولا جهله فهذا وسط احواله فليتامله واما
اخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله ثم اماته فاقبره فيصير جيفة منتنة قذرة ثم تبلى اعضاؤه
وصورته وتتفتت اجزاؤه وتنخر عظامه فتصير رميما رفاتا ثم يصير روثا في اجواف الديدان يهرب منه الحيوان
ويستقذره كل انسان و احسن احواله ان يعود الى ما كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان ويعمر منه البنيان

فما الحسن لو ترك تراباً بل يحيى بعد طول البلى ليقاسي شدائد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع اجزائه المتفرقة
ويخرج الى اهوال القيمة فينظر الى قيامة قائمة وسماء ممزقة مشققة وارض مبدلة وجبال
مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة واحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجحيم تزفر وجنة ينظر
اليها المجرم فيتحسر ويرى صحائف منشورة كتب فيها ما نطق به وعمل من قليل وكثير ونقير وقطمير وهو معنى قوله
عز وجل ثم اذا شاء انشره فما لمن هذا حاله والتكبر ما له وللفرح في لحظة فضلا عن البطر والتجبر
واما العلاج العملي فهو التواضع بالفعل لله تعالى ولسائر الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين
فقد ورد ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأكل على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل
العبد وقيل لسلمان لم لا تلبس ثوباً جيداً فقال انما انا عبد فاذا اعتقت يوماً لبست اشار به الى العتق
في الآخرة وللتواضع امتحانات يعرف بها التواضع فلابد ان يمتحن نفسه بها حتى يطمئن بانه متواضع
فانه قد يضمر التواضع ويدعي البراءة من الكبر فاذا اتفقت واقعة عادت النفس الى طبعها ونسيت
وعدها ثم المحمود ان يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفي الامور ذميم واحب
الامور الى الله اوسطها وهو ان يعطي كل ذي حق حقه وهو العدل واما العجب فهو اعظام
النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان كان خائفاً على زوالها مشفقاً
على تكدرها او يكون فرحه بها من حيث انها من الله من دون اضافتها الى نفسه فليس
بمعجب فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه ان له عند الله حقاً وانه منه بمكان واستبعد ان
يجري عليه مكروه سمي ادلالاً بالعمل وكأنه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطي غيره
شيئاً فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجباً فان استخدمه او اقترح عليه الاقتراحات واستبعد تخلفه
عن قضاء حقوقه كان مدلاً عليه قال الله تعالى في معرض الانكار ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم وقال
وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتيهم الله من حيث لم يحتسبوا وقال وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعاً وهذا ايضاً قد يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما
يعجب بعمل هو مصيب فيه قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسناً وقال النبي صلعم ثلث
مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه وآله اذا رأيت شحاً
مطاعاً وهوى متبعاً واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك وقال صلى الله عليه وآله
لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب وقال الصادق عليه السلام ان الله تعالى
علم ان الذنب خير للمؤمن من العجب ولولا ذلك ما ابتلى مؤمناً بذنب ابداً وقال ان الرجل

ليذنب

ليذنب الذنب فيندم عليه ويعمل العمل فيسره ذلك فيتراخى عن حاله تلك فلان يكون على حاله
تلك خير له مما دخل فيه وعنه عليه السلم قال اتى عالم عابدا فقال كيف صلوتك فقال مثلي يسأل
عن صلوته وانا اعبد الله منذ كذا وكذا قال فكيف بكاؤك قال ابكي حتى تجري دموعي فقال العالم ان
ضحكك وانت خائف افضل من بكائك وانت مدل ان المدل لا يصعد من عمله شيء وعن الباقر عليه السلم قال
دخل رجلان المسجد احدهما عابد والآخر فاسق فخرجا من المسجد والفاسق صديق والعابد فاسق
وذلك انه دخل العابد المسجد مدلا بعبادته يدل بها فتكون فكرته في ذلك ويكون فكرة الفاسق في التندم
على فسقه ويستغفر الله مما صنع من الذنوب قال النبي صلى الله عليه وآله قال موسى لابليس اخبرني بالذنب الذي
اذا اذنبه ابن آدم استحوذت عليه قال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه وقال قال الله تعالى
لداود يا داود بشر المذنبين وانذر الصديقين قال داود كيف ابشر المذنبين وانذر الصديقين قال
يا داود بشر المذنبين اني اقبل التوبة واعفو عن الذنب وانذر الصديقين ان لا يعجبوا باعمالهم فانه
ليس عبد انصبه للحساب الا هلك وعن الكاظم عليه السلم انه سئل عن العجب الذي يفسد العمل فقال العجب درجات
منها ان يزين للعبد سوء عمله فيراه حسنا فيعجبه ويحسب انه يحسن صنعا ومنها ان يؤمن العبد
بربه فيمن على الله ولله عليه فيه المن وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلم العجب كل العجب
ممن يعجب بعمله وهو لا يدري بما يختم له فمن اعجب بنفسه وفعله فقد ضل عن نهج الرشاد وادعى ما ليس له والمدعي
من غير حق كاذب وان اخفى دعواه وطال دهره فانه اول ما يفعل بالمعجب نزع ما اعجب به ليعلم انه عاجز
فقير ويشهد على نفسه ليكون الحجة عليه اوكد كما فعل بابليس والعجب نبات حبها الكفر وارضها النفاق
وماؤها البغي واغصانها الجهل وورقها الضلالة وثمرها اللعنة والخلود في النار فمن
اختار العجب فقد بذر الكفر وزرع النفاق ولا بد ان يثمر اعلم ان آفات العجب
كثيرة منها انه يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه كما اشرنا اليه ومنها انه يدعو الى نسيان الذنوب
وما تذكر منها فيستصغرها ولا يستعظمها فلا يجتهد في تداركها وتلافيها بل يظن انه يغفر له
واما العبادات فيستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين
منها ثم اذا اعجب بها عمي عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الاعمال كان اكثر سعيه ضايعا
فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب قلما تنفع وانما يتفقد
من يغلب عليه الاشفاق والخوف دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبربه ويأمن
مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله بمكان وان له عند الله منة وحقا باعماله التي

هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ومن جملة العجب ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها فان
اعجب برأيه وعلمه وعقله منعه ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد
بنفسه وبرأيه ويستنكف عن سؤال من هو اعلم منه وربما يعجب بالرأي الخطأ الذي
خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخاطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح
ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه و
استضاء بنور القران واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وسؤال
اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا وامثاله من آفات العجب ولذلك كان
من المهلكات ومن اعظم آفاته ان يفتر في السعي لظنه انه قد فاز واستغنى وهو الهلاك
الصريح الذي لا شبهة فيه   اعلم ان الانسان قد يعجب بالاسباب التي بها يتكبر وعلاجه
بما ذكرناه في الكبر وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالرأي الخطأ الذي يزين له بجهله واخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذلك يغلب على اخر هذه الامة وبذلك هلكت الامم اذ افترقت
فرقا وكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع والضلال انما اصروا
عليها لعجبهم بارائهم وهو ما يسوق اليه الهوى والشبهة مع ظن كونه حقا وعلاج هذا العجب
اشد من غيره لان صاحب الرأي الخطأ جاهل بخطائه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي
لا يعرف والعارف يقدر على ان يبين للجاهل جهله ويزيله عنه الا اذا كان معجبا برأيه وجهله
فانه لا يصغي الى العارف ويتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة وكيف يمكن علاج
ما هو سبب سعادته في اعتقاده وانما علاجه في الجملة ان يكون متهما لرأيه ابدا لا يغتر به الا ان يشهد
له قاطع من كتاب الله او سنة مبينة او دليل عقلي صحيح جامع لشروط الادلة ولن يعرف الانسان
ادلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل ثابت وجد وتشمر في
الطلب وممارسة للكتاب والسنة ومجالسة لاهل العلم طول العمر ومدارسة العلوم ومع ذلك
فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الامور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره في العلم ان
لا يخوض في المذاهب ولا يصغي اليها ولا يسمعها ولكن يعتقد ان الله واحد لا شريك له وانه ليس كمثله
شيء وهو السميع البصير وان رسوله صادق فيما اخبر به ويتبع ائمة الهدى من اهل بيت النبي صلوات الله
عليه وعليهم ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتفتيش ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي والشفقة
على المسلمين وسائر الاعمال المرضية   ولما كان علاج كل علة بمقابلة سببها بضده وعلة العجب الجهل

المحض

المعرفة فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادات
فان العجب بهذا اغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب اذ لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه
فنقول الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب انما يعجب به من حيث انه فيه
هو محله ومجراه او من حيث انه منه وبسببه وبقدرته وقوته فان كان الاول فهو جهل لان المحل
مسخر وانما يجري فيه وعليه من جهة غيره ولا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان الثاني
فينبغي ان يتامل في قدرته وارادته واعضائه وسائر الاسباب التي بها تم عمله انها من اين كانت
له فان كان علم ان جميع ذلك نعمة من الله اليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي
ان يكون اعجابه بجود الله تعالى وكرمه وفضله اذ افاض عليه ما لا يستحقه واثره به على غيره من غير سابقة
ووسيلة فان قال وفقني للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فيقول هو فيقال فالحب
والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداك بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة
فيكون الاعجاب بجوده اذ انعم بوجودك وبوجود صفاتك وبوجود اعمالك واسباب اعمالك فاذن لا معنى
لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه لان كل ذلك من فضل الله
انما هو محل لفيضان فضل الله وجوده والمحل ايضا من فضله وجوده فانه هو الذي خلقك وخلق اعضاءك
وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم والارادة ولو اردت ان تنفي شيئا
من ذلك عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في اعضائك مستبدا باختراعها من غير مشارك له
معه في الاختراع الا انه خلقها على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق في العضو قوة وفي القلب ارادة
ولم يخلق ارادة ما لم يخلق علما بالمراد ولم يخلق العلم ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدريجه
في الخلق شيئا بعد شيء هو الذي خيل اليك انك اوجدت عملك وقد غلطت فان تحريك البواعث
وصرف العوائق وتهيئة الاسباب كلها من الله تعالى ليس شيء منها اليك فمن العجائب ان تعجب
بنفسك ولا تعجب بمن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وكرمه وفضله في ايثاره اياك على الفساق
من عباده اذ مكنهم من اسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث
الخير وداعيته وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك وبهم
من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة منهم روي ان ايوب على نبينا وعليه السلام
قال انك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي امر الا اثرت هواك على هواي فنودي
من غمامة بعشرة الاف صوت يا ايوب انى لك ذلك قال فاخذ رمادا فوضعه على راسه

وقال منك يا رب فرجع عن نسيانه واضاف ذلك الى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى
ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا وقال النبي صلى الله عليه وآله
ما منكم من احد ينجيه عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني
الله برحمته فاذن هذا هو العلاج القاطع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على
القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب بها

كتاب في معرفة الدنيا والآخرة فنقول دنياك وآخرتك عبارة
وفيها خمسة ابواب

عن حالتين من احوال القلب والقريب الداني منهما يسمى دنيا وهي كل ما قبل الموت والمتراخي المتأخر
يسمى آخرة وهي ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة في عاجل الحال
قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك الا ان جميع ما لك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم
وذلك لان ما يصحبك في الدنيا ويبقى معك ثمرته بعد الموت وهو العلم النافع والعمل الصالح
فهو من الآخرة في الحقيقة وانما يسمى بالدنيا باعتبار دنوه فان العالم قد يأنس بالعلم حتى يصير
ذلك الذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمنكح والمطعم في لذته لانه اشهى عنده من جميعها فقد صار
حظا عاجلا في الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا اصلا بل قلنا انه
من الآخرة وكذلك العابد قد يأنس بعبادته ويستلذها بحيث لو منع عنه لكان ذلك اعظم العقوبات
عليه حتى قال بعضهم ما اخاف من الموت الا من حيث انه يحول بيني وبين قيام الليل بل نقول ان جملة العمل
الصالح الذي هو من الآخرة التعرض للرزق قال صلى الله عليه وآله العبادة سبعون جزءا
افضلها طلب الحلال وقال النبي صلى الله عليه وآله ملعون من القى كله على الناس وقال امير المؤمنين عليه السلام اوحى الله
عز وجل الى داود انك نعم العبد لولا انك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئا قال فبكى داود
اربعين صباحا فاوحى الله عز وجل الى الحديد ان لن لعبدي داود فالان الله له الحديد فكان يعمل كل يوم
درعا فيبيعها بالف درهم فعمل ثلاثمائة وستين درعا فباعها بثلاثمائة وستين الفا واستغنى عن
بيت المال وقال النبي صلى الله عليه وآله الدنيا دنياءان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة وقال الباقر عليه السلام من طلب الرزق في الدنيا
استعفافا عن الناس وسعيا على اهله وتعطفا على جاره لقي الله عز وجل ووجهه مثل القمر ليلة البدر
وقال الصادق عليه السلام الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله وقال عليه السلام في رجل قال لاقعدن في بيتي و
لاصلين ولاصومن ولاعبدن ربي فاما رزقي فسيأتيني قال هذا احد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم

وقال عليه السلام ان الله يحب الاغتراف في طلب الرزق وقال له رجل والله انا
لنطلب الدنيا ونحب ان نؤتاها فقال تحب ان تصنع بها ماذا قال اعوذ بها
على نفسي وعيالي واصل بها واتصدق بها واحج واعتمر فقال ليس هذا طلب
الدنيا هذا طلب الاخرة وقال ليس منا من ترك دنياه لاخرته ولا اخرته
لدنياه وقال لا تكسلوا في طلب معايشكم فان آباءنا يركضون فيها ويطلبونها
وعن علي بن ابي حمزة قال رايت ابا الحسن عليه السلام يعمل في ارض قد استنقعت
قدماه في العرق فقلت جعلت فداك اين الرجال فقال يا علي قد عمل باليد من
هو خير مني في ارضه ومن ابي فقلت ومن هو فقال رسول الله صلى الله عليه واله
وامير المومنين وابائي عليهم السلام كلهم كانوا قد عملوا بايديهم وهو من عمل النبيين
والمرسلين والاوصياء والصالحين فصل اعلم انه لا يبقى مع العبد عند الموت
الا ثلث صفات صفاء القلب اعني طهارته من ادناس الدنيا وانسه بذكر الله
وحبه لله وصفاء القلب وطهارته لا يحصل الا بالكف عن شهوات الدنيا والانس
لا يحصل الا بكثرة ذكر الله والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة
الا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلث هي المنجيات المسعدات بعد الموت
وهي الباقيات الصالحات وقد ورد في الخبر ان اعمال العبد تناضل عنه فاذا
جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من قبل يديه
جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث واما الانس والحب فهما يوصلان العبد
الى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل
الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة
ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه عن الانس بدوام ذكره
ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وافلت من السجن وخلى بينه وبين محبوبه
فقدم عليه مسرورا سالما من الموانع آمنا من الفراق وكيف لا يكون
محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقد غصب
منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه وليس الموت
عدما انما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى فاذن سالك طريق الاخرة
هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلث وهي الذكر والفكر والعمل الذي

نقصهم عن شهوات الدنيا وتبغض اليه ما اوذيهما ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن
الا بصحة البدن وصحة البدن لا تنال الا بالقوت والمسكن والملبس ويحتاج
كل واحد الى اسباب فالقدر الذى لا بد منه من هذه الثلاثة اذا اخذ العبد
من الدنيا للاخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا فى حقه مزرعة الاخرة
وان اخذ ذلك على قصد التنعم وحظ النفس صار من ابناء الدنيا والراغبين فى
حظوظها الا ان الرغبة فى حظوظ الدنيا تنقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب
الله فى الاخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه
لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم ان طول الموقف فى عرصات القيمة
لاجل المحاسبة ايضا عذاب فمن نوقش فى الحساب عذب فلذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وآله حلالها حساب وحرامها عذاب بل لو لم يكن الحساب لكان ما
يفوت من الدرجات العلى فى الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها
بحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو ايضا عذاب وقس به حالك فى
الدنيا اذا نظرت الى اقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف تقطع نفسك
عليها حسرات مع علمك بانها سعادات منصرمة لا بقاء لها ومنغصة بكدورات
لا صفاء لها فما حالك فى فوات سعادات لا يحيط الوصف بعظمتها وتنقطع
الازمان والدهور دون غايتها وكل من كانت معرفته اقوى واتقن كان حذره
من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى على نبينا وعليه السلام وضع راسه على حجر
لما نام ثم رمى به اذ تمثل له ابليس وقال رغبت فى الدنيا وحتى ان سليمان
على نبينا وعليه السلام فى ملكه كان يطعم الناس من لذائذ الاطعمة وهو ياكل خبز
الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا وشدة فان الصبر عن لذائذ
الاطعمة مع وجودها اشد ولهذا ازوى الله تعالى الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وآله
وكان يطوى اياما ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الانبياء والاولياء ثم الامثل
فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الاخرة حظهم كما يمنع
الوالد الشفيق ولده لذيذ الفواكه ويلزمه الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا
له لا بخلا به عليه وقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو
لله فليس من الدنيا اصلا قد ظهر مما ذكرنا ان الدنيا حظ نفسك العاجل الذى لا حاجة

اليه

البه لامر الاخرة ويعبر عنه بالهوى واليه اشار قوله تعالى ونهى النفس عن
الهوى فان الجنة هى الماوى ومجامع الهوى خمسة امور وهى ما جمعه الله عز وجل
فى قوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاو لاد
والاعيان التى منها تحصل هذه الامور الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى زين
للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله
عنده حسن الماب فهذه هى الاعيان التى للدنيا الا ان لها مع العبد علاقتين
علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه
كالعبد والمحب المستهتر ويدخل فى هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة
بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة
وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر فهذه هى الدنيا الباطنة واما الظاهرة
فهى الاعيان المذكورة والعلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح
هذه الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهى جملة الصناعات والحرف
التى يشتغلون بها نسوا انفسهم ومالهم ومنقلبهم ولو عرفوا سبب الحاجة بحيث ع
اليها واقتصروا عليها لم تستغرقهم اشغال الدنيا وانما استغرقتهم بالدنيا
وحكمتها وحظوظهم منها عنها وتتابعت الاشغال واتصلت بعضها
ببعض وتواعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا فى كثرة الاشغال ونسوا
مقصودها وكلما ورد فى ذم الدنيا يرجع الى هذا الباب الثانى فيما ورد فى ذم
الدنيا اعلم ان الدنيا عدوة لله وعدوة لاولياء الله وعدوة لاعداء الله
اما عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله
اليها مذ خلقها واما عداوتها لاولياء الله فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم
بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر فى مقاطعتها واما عداوتها
لاعداء الله فانها استدرجتهم بمكرها وكيدها واقتنصتهم بشباكها
حتى وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم احوج ما كانوا عليها فجنوا
منها حسرة ينقطع دونها الاكباد ثم حرمتهم عن سعادة الابد الاباد فهم
على فراقها يتحسرون ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون بل يقال

لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة ولا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون والايات الواردة في ذم الدنيا كثيرة واكثر القران مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الاخرة بل هو مقصود بعث الانبياء ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بايات القران لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيه ليكون انموذجا لغيره مما لا يحصى فعن الصادق عليه السلام قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو محزون فاتاه ملك ومعه مفاتيح خزائن الارض فقال يا محمد هذه مفاتيح خزائن الارض يقول الجبار لك ربك افتح منها وخذ منها ما شئت من غير ان ينقص شيئا عندي فقال رسول الله صلعم الدنيا دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له فقال الملك والذي بعثك بالحق نبيا لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقوله في السماء الرابعة حين اعطيت المفاتيح وعنه عليه السلام قال مر رسول الله صلى الله عليه واله بجدي اسك ملقى في مزبلة ميتا فقال لاصحابه كم يساوي هذا فقالوا لو كان حيا لم يساو درهما فقال النبي والذي نفسي بيده الدنيا اهون على الله من هذا الجدي على اهله وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلعم ان في طلب الدنيا اضرارا بالاخرة وفي طلب الاخرة اضرارا بالدنيا فاضروا بالدنيا فانها احق بالاضرار وعنه عليه السلام قال قال مالي وللدنيا انما مثلي ومثلها كمثل راكب رفعت له شجرة في يوم صائف فقال تحتها ثم راح وتركها وعنه عليه السلام قال كتب امير المؤمنين عليه السلام الى بعض اصحابه يعظه اوصيك ونفسي بتقوى الله من لا يحل معصيته ولا يرجى غيره ولا الغنى الا به فان من اتقى الله تعالى عز وقوي وشبع وروي ورفع عقله عن اهل الدنيا فبدنه مع اهل الدنيا وقلبه وعقله معاين الاخرة فاطفا بضوء قلبه ما ابصرت عيناه من حب الدنيا فقذر حرامها وجانب شبهاتها واضر والله بالحلال الصافي الا ما لا بد له منه من كسرة يشد بها صلبه وثوب يواري عورته من اغلظ ما يجد واخشنه ولم يكن له فيما لا بد له منه ثقة ولا رجاء فوقعت ثقته ورجاؤه على خالق الاشياء فجد واجتهد واتعب بدنه حتى بدت الاضلاع وغارت العينان فابدل الله

له من ذلك قوة فى بدنه وشدة فى عقله وما ذخر له فى الاخرة اكثر فارفض
الدنيا فان حب الدنيا يعمى ويصم ويبكم ويذل الرقاب فتدارك ما بقى
من عمرك ولا تقل غدا وبعد غد فانما هلك من كان قبلك باقامتهم على
الامانى والتسويف حتى اتاهم امر الله بغتة وهم غافلون فنقلوا على اعوادهم
الى قبورهم المظلمة الضيقة وقد اسلمهم الاولاد والاهلون فانقطع الى
الله بقلب منيب من رفض الدنيا وعزم ليس فيه انكسار ولا انخزال اعاننا الله
واياك على طاعته ووفقنا واياك لمرضاته وقال امير المومنين عليه السلام
فى صفة الدنيا ما اصف من دار اولها عناء واخرها فناء فى حلالها حساب
وفى حرامها عقاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن ومن ساعاها
فاتته ومن قعد عنها اتته ومن ابصر بها بصرته ومن ابصر اليها اعمته
وعن الباقر عليه السلام قال قال على بن الحسين عم ان الدنيا قد ارتحلت
مدبرة والاخرة قد ارتحلت مقبلة ولكل واحد منهما بنون فكونوا من
ابناء الاخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا وكونوا من الزاهدين فى
الدنيا الراغبين فى الاخرة الا ان الزاهدين فى الدنيا اتخذوا الارض
بساطا والتراب فراشا والماء طيبا وقرضوا من الدنيا تقريضا الا ومن
اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات
ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصائب الا ان لله عبادا لكن راى اهل
الجنة فى الجنة مخلدين وكمن راى اهل النار فى النار معذبين شرورهم
مامونة وقلوبهم محزونة انفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة صبروا
اياما قليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة اما الليل فصافون اقدامهم
تجرى دموعهم على خدودهم وهم يجارون الى ربهم يسعون فى
فكاك رقابهم واما النهار فحلماء علماء بررة اتقياء كانهم القداح قد
براهم الخوف من العبادة ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من
مرض او خلطوا فقد خالط القوم امر عظيم من ذكر النار وما فيها
وعن على بن الحسين عم انه سال اى الاعمال افضل عند الله تعالى فقال
ما من عمل بعد معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله افضل من بغض الدنيا

وان لذلك لشعبا كثيرة وللمعاصي شعبا فاول ما عصى الله به الكبر وهي معصية
ابليس حين ابى واستكبر وكان من الكافرين والحرص وهي معصية ادم
وحوا حين قال الله تعالى لهما كلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من
الظالمين فاخذا ما لا حاجة بهما اليه فدخل ذلك على ذريتهما الى يوم القيمة
وذلك ان اكثر ما يطلب ابن ادم ما لا حاجة به اليه ثم الحسد وهي معصية ابن ادم
حيث حسد اخاه فقتله فتشعب من ذلك حب الدنيا وحب الرياسة وحب
الراحة وحب الكلام وحب العلو والثروة فصرن سبع خصال فاجتمعن كلهن
في حب الدنيا فقال الانبياء والعلماء بعد معرفة ذلك حب الدنيا راس كل
خطيئة والدنيا دنياان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة وعن الباقر عليه السلام انه
قال لجابر يا جابر من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغل قلبه عما سواه
يا جابر ما الدنيا وما عسى ان تكون الدنيا هل هي الا طعام اكلته او ثوب
لبسته او امراة اصبتها يا جابر ان المومنين لم يطمئنوا الى الدنيا ببقائهم فيها
ولم يامنوا قدومهم الاخرة يا جابر الاخرة دار قرار والدنيا دار فناء وزوال ولكن
اهل الدنيا اهل غفلة وكان المومنين هم الفقهاء اهل فكرة وعبرة لم يصمهم
عن ذكر الله تعالى ما سمعوا باذانهم ولم يعمهم عن ذكر الله ما راوا من الزينة
باعينهم ففازوا بثواب الاخرة كما فازوا بذلك العلم الحديث وعن الصادق ع
قال اذا اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا وفقهه في الدين وبصره عيوبها
ومن اوتيهن فقد اوتي خير الدنيا والاخرة وقال الا انه حرام عليكم ان تجدوا طعم
الايمان حتى تزهدوا في الدنيا وقال اذا تخلى المومن من الدنيا سما ووجد حلاوة
حب الله وكان عند اهل الدنيا كانه قد خولط وانما خالط القوم حلاوة
حب الله فلم يشتغلوا بغيره وقال ان القلب اذا صفا ضاقت به الارض حتى
يسموا وقال جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا ثم قال
قال رسول الله صلعم لا يجد الرجل حلاوة الايمان في قلبه حتى لا يبالي من
اكل الدنيا وعنه عليه السلام من زهد في الدنيا اثبت الله الحكمة في قلبه وانطق
بها لسانه وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها واخرجه من الدنيا سالما الى دار
السلام وعن الكاظم عليه السلام قال قال ابو ذر رح جزى الله الدنيا عني مذمة بعد

حب النساء و

رغيفين

رغيفين من الشعير اتغذى باحدهما واتعشى بالاخرة وبعد شملتين الصوف اتزر باحدهما
واتردى بالاخرى وعن الرضا ع قال قال عيسى بن مريم للحواريين يا بني اسرائيل لا تاسوا
على ما فاتكم من الدنيا كما لا ياسى اهل الدنيا على ما فاتهم من دينهم اذا اصابوا دنياهم
فصل وعن النبي صلعم لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى
كافرا منها شربة ماء وقال صلى الله عليه واله الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر
وقال صلى الله عليه واله الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله وقال صلى الله
عليه واله يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وقال
صلى الله عليه واله الهكم التكاثر يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك
الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال صلى الله ع
من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء والزم الله قلبه اربع خصال هما
لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ عنه ابدا وفقرا لا يبال غناه ابدا واملا
لا يبلغ منتهاه ابدا وقال صلى الله عليه واله لتاتينكم بعدي دنيا تاكل ايمانكم
كما تاكل النار الحطب وقال لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا واوحى الله تعالى الى موسى
لا تركنن الى حب الدنيا فلن تاتي بكبيرة هي اشد عليك منها وقال عيسى على
نبينا وعليه السلم ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ويامنها وتغره ويثق بها
وتخذله ويل للمغترين كيف الزمهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم
ما يوعدون ويل لمن اصبح والدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بعمله وقال
لقمان لابنه يا بني بع دنياك باخرتك تربحهما جميعا ولا تبع اخرتك بدنياك
فتخسرهما جميعا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل له والاخرة لمن هي
قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب منها اخرب من يعمرها والجنة دار عمران ودخرب م 2
واعمر منها قلب من يطلبها فصل وانا اذكر بعض الامثلة التي وردت في صفة
الدنيا قال الله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات
الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وقال النبي صلى الله عليه واله الدنيا حلم
عليها 2 ر واهلها عليها مجازون معاقبون وقال صلى الله عليه واله في قلة ما بقي من
الدنيا بالاضافة الى ما سبق مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى اخره

فبقي متعلقا بخيط في اخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع وقال صلى الله عليه واله
ما الدنيا في الاخرة الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع اليه من الاصل
وكتب امير المومنين صلوات الله عليه واله الى سلمان رضي الله عنه بمثالها فقال مثل الدنيا
مثل الحية يلين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع
عنك همومها لما ايقنت من فراقها وكن اسر ما تكون منها احذر ما تكون فيها فان
صاحبها كلما اطمان منها الى سرور اشخصته عنه مكروهة والسلام وكان الحسن بن
علي ع يتمثل بهذا البيت يا اهل لذات دنيا لا بقاء لها ان اغترارا بظل زايل حمق وعن
الباقر عليه السلم في حديث جابر فانزل الدنيا كمنزل نزلته ثم ارتحلت عنه او كمال وجدته في
منامك فاستيقظت وليس معك منه شي فاني انما ضربت لك بهذا مثلا لانها
عند اهل اللب والعلم بالله كفي الظلال وعنه عليه السلم قال مثل الحريص على الدنيا
كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفا كان ابعد لها من الخروج حتى تموت
غما وعن الصادق عليه السلم مثل الدنيا مثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان
ازداد عطشا حتى يقتله وروي ان عيسى على نبينا و عليه السلم كوشف بالدنيا فراها في
صورة عجوز شمطاء هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا
احصيهم قال فكلهم مات عنك او كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال
عيسى بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين كيف تهلكينهم
واحدا واحدا ولا يكونون منك على حذر وقال عيسى عليه السلم الدنيا قنطرة
فاعبروها ولا تعمروها وقال بعض الحكما ما اشبه حال الانسان واغتراره بالدنيا
وغفلته عن الموت وما بعده من الاهوال وانهماكه في اللذات العاجلة الفانية
الممتزجة بالكدورات بشخص مدلى في بئر مشدود وسطه بحبل وفي اسفل
ذلك البئر ثعبان عظيم متوجه اليه منتظر سقوطه فاتح فاه لالتقامه وفي
اعلى ذلك البئر جرذان ابيض واسود لا يزال يقرضان ذلك الحبل شيئا فشيئا
ولا يفتران عن قرضه انا من الانات وذلك الشخص مع انه يرى ذلك الثعبان
ويشاهد انقراض الحبل انا فانا قد اقبل على قليل عسل قد لطخ به جدار ذلك
البئر وامتزج بترابه واجتمع عليه زنابير كثيرة وهو مشغول بلطعه منهمك فيه

ملن.

ملتذ بما اصاب منه مخاصم لتلك الزنابير عليه فتصرف باله بالجمعة الى ذلك غير
ملتفت الى ما فوقه والى ما تحته فالبئر هو الدنيا والحبل هو العمر والثعبان
الفاتح فاه هو الموت والجرذان الليل والنهار الحارضان الاعمار والعسل المختلفة
بالتراب هو لذات الدنيا الممتزجة بالكدورات والالام والزنابير هم ابناء الدنيا
المتزاحمون عليها وما اشد انطباق هذا المثال على الممثل له فنسال الله الهداية
والبصيرة ونعوذ به من الغفلة والغواية الباب الثاني في ذم حب المال اعلم ان
فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة الارجاء والاكناف ولكن الاموال
اعظم فتنها والحم محنها واعظم فتنتها انه لا غنى عنها ثم اذا وجدت فلا
سلامة منها فان فقد نقد حصل منه الفقر الذي يكاد ان يكون كفرا وان وجد
حصل منه الطغيان الذي لا يكون عاقبة امره الا خسرا وبالجملة فهو لا يخلو من
الفوايد والافات وفوايدها من المنجيات وافاتها من المهلكات وتمييز خيرها من شرها
من المعوصات التي لا يقوى عليها الا ذو البصاير في الدين من العلماء الراسخين ثم
للفاقد حاليان القناعة والحرص وللحريص حالتان طمع فيما في ايدي الناس
وتشمر للحرف والصناعات مع الياس عن الخلق وللواجد حالتان امساك
وانفاق وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد وهذه امور متشابهة وكشف
الغطاء عن الغموض فيها مهم قال الله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال عز
وجل لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك
هم الخاسرون وقال النبي صلى الله عليه وآله حب المال والشرف ينبتان النفاق
كما ينبت الماء البقل وقال ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا
من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم وقال صلعم يقول ابن ادم مالي مالي
وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت
وقال رجل يا رسول الله صلعم لا احب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله صلعم ما لي
قال قدم مالك امامك فان قلب المومن مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه
احب ان يتخلف معه فصل واعلم ان سبحانه قد سمى المال خيرا في مواضع فقال ان
ترك خيرا الوصية الاية وقال رسول الله صلعم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكلما جاء

فى ثواب الصدقة والحج والانفاق فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليها الا به وتحقيق
القول فيه ان المال قد يكون وسيلة الى مقصود صحيح وقد يكون وسيلة الى مقاصد
فاسدة وهى للقاصد الصادة عن سعادة الابد وسد سبيل العلم والعمل فهو اذن
محمود ومذموم محمود بالاضافة الى المقصود المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصود
المذموم ولما كانت الطباع مايلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال
مسهلا لها واله اليها اعظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء من شره
حتى قال نبينا صلى الله عليه واله اللهم اجعل قوت ال محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا
ما لم يتمحض خيره وقال اللهم احينى مسكينا وامتنى مسكينا فصل اعلم ان مثل المال
مثل حية فيها سم وترياق ففوايدها ترياقها وغوايلها سمومها فمن عرف غوايلها
وفوايدها امكنه ان يحترز من شرها ويستدر منها خيرها اما الفوايد فهى تنقسم
الى دنيوية ودينية اما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشتركة بين
اصناف الخلق ولولا ذلك لم تتهالكوا على طلبها واما الدينية فهى ثلثة انواع الاول ان
ينفقه على نفسه اما فى عبادة او فى استعانة على عبادة والثانى ما تصرفه الى
الناس وهى اربعة اقسام الصدقة والمروة ووقاية العرض واجرة الاستخدام اما
الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفى غضب الرب واما المروة فنعنى بها صرف
المال الى الاغنياء والاشراف فى ضيافة وهدية واعانة وما يجرى مجراه مما يكتسب
به العبد الاخوان والاصدقاء ويكتسب به صفة السخاء فانه لا يوصف به الجود
الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروة وهذا ايضا مما يعظم
الثواب فيه فقد وردت اخبار كثيرة فى الهدايا والضيافات واطعام الطعام
من غير اشتراط الفقر والفاقة فى مصارفها واما وقاية العرض فنعنى بها بذل
المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع السنتهم ودفع شرهم وهذا ايضا
مع تنجز فايدته فى العاجلة من الحظوظ الدينية قال رسول الله صلعم ما وقى
المرء به عرضه فهو له صدقة واما الاستخدام فهو ان الاعمال التى يحتاج اليها
الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه لضاع اوقاته وتعذر
عليه سلوك سبيل الاخرة بالفكر والذكر اللذين هما اعلى مقامات السالكين النوع الثانى

ما لا يصرف الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقنا
والرباط ودار المرضى ونصب الحباب في الطريق وغير ذلك من الاوقاف المرصدة
للخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة ادعية الصالحين الى
اوقات متمادية فهذه جملة فوايد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة
من الخلاص من ذل السوال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق
وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء والوقار والكرامة في القلوب واما الافات فدينية
ودنيوية اما الدينية فثلاثة انواع الاول انه يجر الى المعاصي فان الشهوات متقاضية
والعجز قد يحول بين المرء وبين المعصية ومن العصمة ان لا تقدر ومهما كان الانسان ايسا
عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته فاذا استشعر القدرة عليه انبعثت
الداعية والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان
اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة اشد وفتنة
السراء اعظم من فتنة الضراء الثاني ان يجر الى التنعم في المباحات وهذا اول الدرجات
فمتى يقدر صاحب المال على ان يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك
لذايذ الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمان عليه السلم في ملكه فاحسن احواله ان يتنعم
بالدنيا ويمرن عليه نفسه فيصير التنعم مالوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره
البعض منه الى البعض واذا اشتد انسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه با
الكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المراياة والمداهنة والكذب والنفاق
وساير الاخلاق الرديئة لينتظم له امر دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت
حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد ان ينافقهم ويعصي الله في طلب
رضاهم فان الافة الاولى وهي مباشرة المحظورات فلا يسلم عن هذه اصلا ومن
الحاجة الى الخلق تثور العداوة والصداقة ويتنشى عليه الحسد والحقد والرياء
والكبر والكذب والغيبة والنميمة وساير المعاصي التي تخص القلب واللسان
ولا يخلو عن التعدي ايضا الى ساير الجوارح وكل ذلك يلزم من شوم المال والحاجة
الى حفظه واصلاحه الثالث وهو الذي لا ينفك عنه احد وهو انه يلهيه اصلاح
ماله عن ذكر الله وكلما يشغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى على نبينا

وعليه السلم في المال ثلث ان ياخذه من غير حله فقيل ان اخذه من حله قال يضعه
في غير حقه فقيل ان وضعه في حقه فقال يشغله اصلاحه عن الله وهذا هو
الداء العضال فان اصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله تعا والفكر في جلاله وذلك
يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح
ومحاسبته وخيانته وخصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة
اعوان السلطان للخراج وخصومة الاجراء في التقصير في العمارة وصاحب التجارة
يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه المال
وكذلك صاحب المواشي وهكذا ساير اصناف الاموال وابعدها عن كثرة الشغل
المكنوز تحت الارض ولا يزال بالفكر مترددا فيما يصرف اليه وفي كيفية حفظه
وفي الخوف ممن يعثر عليه وفي دفع اطماع الناس عنه واودية افكار اهل الدنيا
لا نهاية لها والذي معه قوت يوم او سنة في سلامة عن جميع ذلك فهذه جملة
الافات الدينية سوى ما تقاسيه ارباب الاموال من الخوف والحزن والغم
والهم والتعب في دفع الحساد وحفظ الاموال وكسبها فاذن ترياق المال
اخذ القوت وصرف الباقي الى الخيرات وما عداه سموم وافات فصل اعلم ان
الفقر محمود ولكن ينبغي ان يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق
غير ملتفت الى ما في ايديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه
ذلك الا بان يقنع بقدر الكفاف ويقصر الامل فان تشوق الى الكثرة وطول
الامل فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وقلة القناعة
وجرة الحرص والطمع الى مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات
وقد جبل الادمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه
واله لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثا ولا يملأ جوف
ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال صلى الله عليه واله منهومان
لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال صلى الله عليه واله يشيب ابن ادم
ويشب فيه خصلتان الحرص وطول الامل ولما كانت هذه جبلة للادمي
مضلة وغريزة مهلكة اثنى الله تعا ورسوله على القناعة وقال صلى الله عليه

واله طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال ما من احد
غنى ولا فقير الا ودّ يوم القيمة انه كان اوتى قوة فى الدنيا وقال يا معشر الفقراء
اعطوا من الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وقال ليس الغنى غنى
كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وقال ان روح القدس نفث فى روعى
ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا فى الطلب وقال
امير المومنين عليه السلم ابن ادم ان كنت تريد من الدنيا ما يكفيك فان ايسر ما
فيها يكفيك وان كنت تريد ما لا يكفيك فان كل ما فيها لا يكفيك وقال الباقر
عليه السلم اياك ان تطمح بصرك الى من هو فوقك فكفى بما قال الله لنبيه ولا تعجبك
اموالهم ولا اولادهم وقال لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة
الحيوة فان دخلك من ذلك شى فاذكر عيش رسول الله صلى الله عليه واله فانما
كان قوته الشعير وحلواه التمر ووقوده السعف اذا وجد وقال الصادق عليه السلم
ان الله يقول يحزن عبدى المومن ان قترت عليه وذلك اقرب له منى و
يفرح عبدى المومن ان وسعت عليه وذلك ابعد له منى وقال عليه السلم كلما
ازداد ايمانا ازداد ضيقا فى معيشته وقال فى مناجات موسى يا موسى اذا
رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رايت الغنى مقبلا فقل
ذنب عجلت عقوبته فصل لا نجاة من غائلة المال الا بالمحافظة على امور
الاول ان تعرف مقصود المال وانه لماذا خلق وانه يحتاج اليه حتى لا يكتسب
ولا يحفظ الا قدر حاجته والثانى ان يراعى جهة دخل المال فيجتنب الحرام
المحض وما الغالب عليه الحرام ويجتنب الجهات المكروهة القادحة فى المروة
والثالث ان يراعى جهة الخرج ويقتصد فى الانفاق غير مبذر ولا مقتر قال الله
تعا والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وفى الحديث
النبوى ما عال من اقتصد والرابع ان يضع ما اكتسبه من حله فى حقه
ولا يضعه فى غير حقه فان الاثم فى الاخذ من غير حقه سواء والخامس
ان يصلح نيته فى الاخذ والترك والانفاق والامساك فياخذ ما ياخذ
ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا او استحقارا له واذا فعل

الدنيا

السعف جريد النخل

والوضع فى غير حقه

ذلك لم يضره وجود المال قال امير المؤمنين عليه السلم لو ان رجلا اخذ جميع ما في
الارض واراد به وجه الله فهو زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد وجه الله فليس
بزاهد ان قيل ايهما افضل الغنى بنية الاستعانة على العبادة ام الفقر بنية
التفرغ لها قلنا الافضل منهما ما لا يشغل العبد عن الله فان كان الفقر يشغله
عن الله فالغنى اولى به وذلك لان فضل الفقر والغنى بحسب عدم تعلق
القلب بالمال وفقده وان تساويا فيه تساوت درجتهما الا ان هذا مزلة الاقدام
وموضع الغرور فان الغني ربما يظن انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه
دفينا في باطنه وهو لا يشعر به وانما يشعر به اذا فقده فليجرب نفسه وهذا حال
كل الاغنياء الا الانبياء والاولياء واذا كان هذا محالا او بعيدا فليطلق القول
بان الفقر اصلح لكافة الخلق وافضل لان علاقة الفقر وانسه بالدنيا اضعف
غالبا وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته فان
حركات اللسان والابدان ليست مرادة لاعيانها بل ليتاكد بها الانس
بالمذكور ولا يكون تاثيره في اثارة الانس في قلب فارغ عن غير المذكور كتاثيره في قلب
مشغول ولهذا ورد في فضل الفقراء على الاغنياء على الاطلاق ما ورد ثم
ليس معنى الفقر ان لا يملك شيئا البتة قال الصادق عليه السلم في كلام له
مع الصوفية ثم علم الله نبيه كيف ينفق وذلك انه كانت عنده صلعم
اوقية من الذهب فكره ان يبيت عنده فتصدق بها فاصبح وليس عنده
ما يعطيه فلامه السائل واغتم حيث لم يكن عنده ما يعطيه وكان رحيما
رفيقا صلى الله عليه واله فادب الله عز وجل نبيه بامره فقال ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا يقول
ان الناس قد يسالونك ولا يعذرونك فاذا اعطيت جميع ما عندك من المال
قد حسرت من المال قال ثم من علمتم بعده في فضله وزهده سلمان الفارسي
رضي الله وابو ذر رحمه فاما سلمان فكان اذا اخذ عطاءه رفع منه قوته لسنته
حتى يحضر عطاؤه من قابل فقيل له يا ابا عبد الله انت في زهدك تصنع هذا
وانت لا تدري لعلك تموت اليوم او غدا فكان جوابه ان قال ما لكم لا ترجون
البقاء كما خفتم على الفناء اما علمتم يا جهلة ان النفس قد تلتاث على صاحبها

وان كان الغنى يشغله عن الله فالفقر اولى به

اذا لم يكن لهما من العيش ما يعتمد عليه واذا هي احرزت معيشتها اطمانت وامّا
الزهد فكانت له نوايات وتشويهات يجلبها وينزح منها اذا اشتهى اهله اللحم
او نزل به ضيف او راى باهل الماء الذين معه خصاصة نحر لهم الجزور او من
الشاة على قدر ما يذهب عنهم بقرم اللحم فيقسمه بينهم وياخذ هو كنصيب واحد
منهم لا يتفضل عليهم ومن ازهد من هولاء وقد قال فيهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم يانا ولم يبلغ من امرهما ان صارا لا يملكان شيئا البته كما تامرون الناس
بالقا امتعتهم وشيهم ويوثرون به على انفسهم وعيالاتهم واعلموا انما النفر
انى سمعت ابى يروى عن ابائهم ان رسول الله صلعم قال يوما ما عجبت من شيء
كعجبي من المومن انه ان قرض جسده في دار الدنيا بالمقاريض كان خيرا له وان
ملك ما بين مشارق الارض ومغاربها كان خيرا له وكلما يصنع الله به كان خيرا له
فصل فقد ظهر مما ذكر انه لا خلاص من بتعة الدنيا وغوايلها الا بالزهد فيها وهو ان لا
يريدها بقلب الا بقدر ضرورة بدنه وهو مقام عال قال الله تعالى فخرج على قومه في
زينته الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير نسب الزهد الى العلما
ووصف اهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال عز وجل من كان يريد حرث الدنيا نوته
منها وما له في الاخرة من نصيب وقال النبي صلعم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه
امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما
كتب له ومن اصبح وهمه الاخرة جمع الله همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه
في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقال اذا رايتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا
فاقتربوا منه فانه يلقي الحكمة وقال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي
الناس يحبك الناس وقال من اراد ان يوتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هدى
فليزهد في الدنيا وللزهد ثلث درجات السفلى ان يكون المرغوب فيه النجاة من
النار وساير عذاب الاخرة وهذا زهد الخائفين والثانية ان نزهد في ثواب الله
ونعيم الجنة وهذا زهد الراجين والثالثة وهي العليا ان لا يكون له رغبة
الا في الله وفي لقائه وهذا زهد العارفين والزهد باعتبار احكامه ينقسم الى فرض
ونفل وسلامة والفرض هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد في الحلال والسلامة

رغبة

هو الزهد في الشبهات وفي مصباح الشريعة قال الصادق عم الزهد مفتاح باب
الاخرة والبراءة من النار وهو بركات كل شيء يشغلك عن الله من غير تاسف على
فوتها ولا اعجاب في تركها ولا انتظار فرج منها وطلب محمدة عليها ولا عوض لها
بل ترى فوتها راحة وكونها افة وتكون ابدا هاربا من الافة معتصما بالراحة
والزاهد الذي يختار الاخرة على الدنيا والذل على العز والجهد على الراحة والجوع
على الشبع وعافية الاجل على محبة العاجل والذكر على الغفلة ويكون نفسه
في الدنيا وقلبه في الاخرة وسئل الصادق عم عن الزاهد في الدنيا فقال الذي
يترك حلالها مخافة حسابه ويترك حرامها مخافة عذابه وقال ليس الزهد في
الدنيا باضاعة المال ولا تحريم الحلال بل الزهد في الدنيا ان لا تكون بما في يدك
اوثق منك بما عند الله وقال امير المومنين عم الزهد في الدنيا قصر الامل وشكر
كل نعمة والورع عن كل ما حرم الله عز وجل وقال ع الزهد كلمة بين كلمتين
من القران قال الله سبحانه لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتيكم ومن
لم ياس على الماضي ولم يفرح بالاتي فقد اخذ الزهد بطرفيه ولعمري ان تمام
معناه يحصل بما ان من ثمرة الزهد السخاء ومن ثمرة الرغبة في الدنيا البخل فالمال
ان كان مفقودا ينبغي ان يكون حال العبد القناعة وان كان موجودا ينبغي ان
يكون حاله السخاء واصطناع المعروف فان السخاء من اخلاق الانبياء وهو
اصل من اصول النجاة وعنه عن النبي صلعم حيث قال السخاء شجرة من شجرة
الجنة اغصانها متدلية على الارض فمن اخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن
الى الجنة وقال قال جبرئيل عليه السلام قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولن
يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وقال ما جبل الله اولياءه
الا على السخاء وحسن الخلق وقال ان موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام
وحسن الكلام وقال تجافوا عن ذنب السخي فان الله اخذ بيده كلما عثر اقاله وقال
طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء وقال ان السخي قريب من الله قريب من الناس
قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد
من جنته قريب من النار وجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل وادوى الداء البخل

وارفعه

وارفع درجات السخاء الايثار وهو ان يجود بالمال مع الحاجة اليه قال الله تعالى
في معرض الثناء ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال النبي صلى الله
عليه وآله ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته واثر على نفسه غفر له وينبغي
للفقير ان لا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل وفضله
اكثر من اموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى قال النبي صلى الله عليه وآله درهم من
الصدقة افضل عند الله من مائة الف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله
قال اخرج رجل من عرض ماله مائة الف يتصدق بها واخرج رجل درهما من
درهمين لا يملك غيرهما طيبة بها نفسه فصار صاحب الدرهم افضل من صاحب مائة
الف واعلم ان الامساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير
وبينهما وسط هو المحمود وينبغي ان يكون السخاء والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول الله
صلى الله عليه وآله الا بالسخاء وقيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل
البسط وقال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالجود
وسط بين الاقتار والاسراف وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه
بقدر الواجب ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع
له فيه بل ينبغي ان لا يكون لقلبه علقة مع المال الا من حيث يراد المال له وهو صرفه الى ما يجب
صرفه اليه شرعا او مروة وعادة وواجب المروة والعادة يختلف في الاحوال والاشخاص فيستقبح
من الغني المضايقة ما لا يستقبح من الفقير ومع الاهل والاقارب ما لا يستقبح مع الاجانب ومع الجار
ما لا يستقبح مع البعيد وفي الضيافة عرض ذلك الغرض هو اهم من حفظ المال وفي مقابلة
السخاء والجود الباب الرابع في ذم حب الجاه اعلم ان اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار
وهو افة عظيمة وحبه مذموم بل المحمود هو الخمول الا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف
طلب للشهرة منه قال الله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا
فسادا وقال النبي صلى الله عليه وآله حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال
ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب الجاه والمال في دين الرجل المسلم
وقال انما هلك الناس باتباع الهوى وحب الثناء وعنه صلى الله عليه حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله
ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه وعن امير المؤمنين ع تبذل لا تشتهر ولا ترفع شخصك
لتذكر بعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال الصادق ع اياكم وهؤلاء الرؤساء

ملعون
الذين يترأسون فوالله ما خفقت النعال خلف رجل الا هلك واهلك وقال ملعون من ترأس
من هم ملعون من حدث بها نفسه وعن النبي صم رب ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره لو
قال اللهم اسالك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وعنه صم ان اليسير من الريا شرك
وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح
الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة واعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع
بها في التوصل الى الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها
وطاعتها للتوصل باستعمال اربابها في الاغراض والمقاصد وكما انه يكتسب الاموال بانواع من الحرف
والصناعات فكذلك يكتسب القلوب بانواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف
والاعتقادات وكل من اعتقد القلب فيه وصفا من اوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة
اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط ان يكون الوصف كمالا في نفسه بل
يكفي ان يكون كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف به
انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب واحوال القلب تابعة لاعتقادات
القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب ملك الارقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب
ان يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب
الجاه اعظم لان مالك العبد يملكه قهرا والعبد متأبي بطبعه ولو خلي ورأيه انسل عن الطاعة
وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبغي ان يكون الاحرار له عبيدا بالطبع والطوع مع
الفرح بالعبودية والطاعة له فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان
القلب يكون قدرته على ارباب القلوب وبقدر قدرته يكون فرحه وحبه للجاه وللجاه ثمرات
كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه وكالخدمة والاعانة
فانه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير
بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد ولملك القلوب ترجيح
على ملك المال من وجوه الاول ان التوصل بالجاه الى المال ايسر من التوصل الى الجاه فالعالم بالمال ع
او الزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان اموال ارباب
القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال واما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة
كمال اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله واراد ان يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له والثاني
ان المال معرض للتوى والتلف بان يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة فيحتاج

الى اقاصي البلاد التي يعلم قطعا انه قط لم يطاها ولا يشاهدها ليعظموه ويعتقدوه على غرض من اغراضه
فله سببان احدهما جلي والاخر خفي تدق عن افهام الاذكيا فضلا عن الاغبياء وذلك لاستمداده
من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليه الا الغواصون اما الجلي فهو دفع الم الخوف
لان الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وان كان مكفيا في الحال فانه طويل الامل يخطر بباله ان المال الذي
فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع الم الخوف الا الامن
الحاصل بوجود مال اخر يفزع اليه ان اصابت هذا المال جائحة فهو ابدا لشفقته على نفسه وحبه للحيوة يقدر
طول الحيوة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الافات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب
ما يدفع الخوف وهو كثرة المال حتى ان اصيب بطائفة من ماله استغنى بالاخرى وهذا خوف لا موقف له
عند مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن له موقف الى ان يملك جميع ما في الدنيا ولذلك
ورد منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ومثل هذه العلة تطرد في حب قيام المنزلة والجاه في قلوب الاباعد
عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن او يزعج اولئك عن اوطانهم الى وطنه
ويحتاج الى الاستعانة بهم واما السبب الخفي وهو الاقوى ان الروح امر رباني تحب الربوبية بالطبع ومعنى
الربوبية التوحد بالكمال والعبودية قهر على النفس ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى
الكمال لم يسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال مشتهية له ملتذة به لذاته لا لمعنى اخر وراء الكمال
فكل موجود فهو محب لذاته والكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته او عدم صفات الكمال من ذاته
فصار الاستيلاء على الاموال والقلوب محبوبا بالطبع وان كان لا يحتاج اليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات
نفسه ولذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد اشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة
اعلم ان الكمال الحقيقي الذي يقرب من ان يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت ليس
الا علم بالله وبصفاته وافعاله وحكمته في ملكوت السموات والارض وترتيب الدنيا والاخرة وما يتعلق
به ثم الحرية اعني الخلاص عن اسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة
الذين لا يستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب واما ما له منفعة في الاعانة على معرفة الله كمعرفة
لغة العرب وتفسير القران والفقه والاخبار ومعرفة طريق تزكية النفس لقبول
الهداية الى معرفة الله تعالى كما قال تعالى قد افلح من زكيها وقال والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا فهو من حيث انه وسيلة الى معرفة الله والى تحصيل
الحرية فما لا بد منه بالعرض واما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد اذ

ليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله تعالى وما يحدث من الاشياء عقيب ارادة العبد و
وقدرته وحركته فهي حادثة باحداث الله تعالى كما حقق في موضعه نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة
الى الحال وهي وسيلة الى كمال العلم وقد يحتاج كسلامة اطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للادراك
فان هذه القوى آلة للوصول به الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استبقاء هذه القوى الى القدرة بالمال و
الجاه للتوصل به الى المطعم والملبس وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة الله فلا خير
فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب ولا طريق للعبد الى كسب كمال القدرة الباقية بعد
الموت اذ قدرته على اعيان الاموال وعلى استسخار القلوب ولا بد ان تنقطع بالموت ومن ظن ذلك
كمالا فقد جهل فالخلق كلهم في غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى
اعيان الاموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه والمال كمال فلما اعتقدوا الكمال ذلك
احبوه ولما احبوه طلبوه ولما احبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب
القرب من الله ومن ملائكته وهو العلم والحرية وهؤلاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة
فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة
الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي
تبقى كمالا للنفس والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال انما مثل
الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الاية وكل ما تذروه الرياح بالموت
فهو زهرة الحيوة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو من الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا
ان كمال القدرة بالمال والجاه كمال وهمي لا اصل له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو
جاهل الا قدر البلغة منها الى الكمال الحقيقي اعلم انه كما لا بد من ادنى مال لضرورة المطعم و
الملبس فلا بد من ادنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كما لا يستغني عن طعام فيجوز ان
ان يحب الطعام والمال الذي يباع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق
يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له في قلب خادمه من المحل خادم
ما يدعوه الى الخدمة ليس بمذموم وكذا حبه لان يكون له في قلب رفيقه
من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته وكذا حبه لان يكون له في قلب
استاده من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به وكذا حبه لان يكون
له من المحل في قلب سلطان ما يحسنه ذلك على دفع الشر عنه فان الجاه وسيلة الى الاغراض

كامال

كالمال فلا فرق بينهما الا ان التحقيق في هذا يقتضي الى ان لا يكون المال والجاه في اعينها محبوبان
بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان ان يكون في داره بيت ماء لانه يضطر اليه لقضاء
حاجته ويود لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء الا انه لا يوصف محبهما
بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل الى اكتسابه بكذب و
خداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى المال والجاه
بالعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء المحظور فاما ان يطلبها
باخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلمه فلا يزول به منزلته فهو مباح
ايضا لان حفظ الستر على القبائح جائز بل لا يجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا ليس فيه تدليس
بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفي عن السلطان انه شرب الخمر ولا يلقي اليه
انه ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاده الورع بل يمنع العلم بالشرب
واما حب المدح والثنا فله اسباب الاول وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فان النفس مهما
شعرت بكمالها وتعظم اللذة بهذه العلة بما صدر الثناء من بصير خبير لا يجازف في القول ولهذه
العلة يبغض الذم ايضا ويكره لانه يشعر بنقصان في نفسه والسبب الثاني ان المدح يدل على ان
قلب المادح ملك الممدوح وانه مريد له معتقد فيه ومسخر تحت مشيته وملك القلوب محبوب و
الشعور بحصوله لذيذ وهذه العلة تعظم اللذة بما صدر ممن يتسع قدره وينتفع باقتناص
قلبه كالملوك والاكابر ولهذه العلة ايضا يكره الذم ويتالم به القلب والسبب الثالث ان
ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما اذا كان ذلك ممن يلتفت
الى قوله ويعتقد بثنائه وهذا يختص بثناء يقع على الملاء والسبب الرابع ان المدح يدل على
حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء عليه اما عن الطوع واما عن قهر فان
الحشمة ايضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه الاسباب قد تجتمع في مدح مادح واحد
فيعظم به الالتذاذ ويندفع استشعار الكمال بان يعلم الممدوح انه غير صادق في مدحه
فان كان يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه
على قلبه وبقيت لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء
اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشعوفا بالتودد اليهم
والمراياة لاجلهم ولا يزال في اقواله وافعاله ملتفتا الى ما عظم منزلته عندهم وذلك

فان قوله انه ورع صح

انه ناحت واهتزت لان ذنب والمدح يشعر الممدوح بكمالها صح